الفصل الأول

ابن أبى طى الحلبي

تتركز الدراسة فى هذا الفصل على إبراز كل ما توافر لدينا من معلومات عن المؤرخ ابن أبى طى الحلبى، كمقدمة مهمة قبل عرض ودراسة ما جمعناه له من كتابات.

وقد اعتمدنا فى جمع مادة هذا الفصل على كل ما وقفنا عليه من المصادر والمراجع العربية والاجنبية التى جاء فيها ذكر ابن أبى طى، وعلى البيانات التى كشفتها كتابات ابن أبى طى عن أسرته.

وقبل البدء فى عرض هذه الدراسة، نقدم نبذة عن العصر الذى عاش فيه ابن أبى طى، ثم نقدم ترجمة له تشمل الأسرة التى نشأ فيها، ومولده، وأهم شيوخه، والأعمال التى قام بها، ومؤلفاته، وأخيرا منهجه فى الكتابة التاريخية.

عصر ابن أبى طى:

عاش ابن أبى طى فى مدينة حلب فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى، وحتى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى[1].

وسوف نتناول دراسة عصره من عدة نواحى:

أولا ـ الدول التى عاصرها:

عاصر ابن أبى طى على الصعيد السياسى الخارجى الخلافة العباسية فى فترة تعد من أهم فتراتها، وهى فترة ولاية الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ / ١١٨٠ ـ ١٢٢٥

(١) السيوطي : الخلفاء ، ص ٤٥٢

م)، الذى كان على خلاف آبائه من السنة يعتنق مذهب الشيعة الإمامية[١]، وصار بذلك على ـ حد قول والد ابن أبى طى ـ إماما للشيعة[٢].

وعلى صعيد بلاد الشام نشأ ابن أبى طى وعاش فى كنف الدولة الأيوبية فى أوج عهدها فى فترة ولاية السلطان صلاح الدين (٥٧٠ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٧٤ ـ ١١٩٣ م)، ومن بعده فى عهد خلفائه.

وعلى الصعيد السياسى الداخلى فى حلب، فقد ولد ابن أبى طى فى آواخر عهد الدولة الأتابكية فى فترة حكم «الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود ابن زنكي» (٥٦٩ ـ ٥٧٧ هـ / ١١٧٤ ـ ١١٨١ م)، وعاش حياته كلها فى ظل الحكم الأيوبى لحلب، وقد عاصر ولاية كل من:

١ – السلطان صلاح الدين: حيث أقام بها لمدة شهرين لضبط الأمور من شهر صفر إلى ربيع الآخر عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م.

٢ – الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين: فى أثناء ولايته الأولى فى حلب (ربيع الآخر ـ رمضان ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م).

٣ – الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب: (٥٧٩ ـ ٥٨٣هـ / ١١٨٣ ـ ١١٨٧ م)

٤ – الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين: ولايته الثانية (٥٨٣ ـ ٦١٣ هـ / ١١٨٧ ـ ١٢١٦ م).

---

(١) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ١٦٩ ، ٢٢١ .

٥ - الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر: (٦١٣ - ٦٣٤ هـ/ ١٢١٦ - ١٢٣٦ م)[١].

ثانيا - السمات العامة لبلاد الشام فى عصر ابن أبى طى:

على الصعيد السياسى كانت بلاد الشام فى القرنين السادس والسابع الهجرى، الثانى عشر الثالث عشر الميلادى، ميدانا للصراع الإسلامى الصليبى الذى بداته الدولة الأتابكية وواصلته الدولة الأيوبية، وعلى الصعيد الإقتصادى ساد نظام الإقطاع العسكرى بلاد الشام، والذى كان قد غمر العالم الإسلامى برمته، فمزق البلاد إلى كيانات متجزئة، وكان تأثيره فى بلاد الشام أخف وطأة نظرا للنشاط التجارى، حيث كانت بلاد الشام بحكم موقعها الجغرافى محطة لتجارة العبور العالمية بين آسيا وأوربا، أما على الصعيد الإجتماعى، فقد صارت بلاد الشام خليطا لأجناس متعددة بعد أن غمرتها هجرات تركية وخوارزمية، وفلول عناصر صليبية استوطنت البلاد حتى بعد انسحاب الصليبيين إلى أوربا، وعلى الصعيد الدينى شهدت بلاد الشام مللا مختلفة إسلامية ونصرانية ويهودية وشيعية إسماعيلية واثنى عشرية، الأمر الذى أثر فى البئة الإجتماعية[٢].

ثاليا - خصائص مدرسة الشام التاريخية:

شهدت مدرسة الشام التاريخية تطورا كبيرا فى العصر الذى عاش خلاله ابن أبى طى فى القرنين السادس والسابع الهجرى، الثانى عشر الثالث عشر الميلادى، حيث

تأثرت بالتغيير السياسى الذى حدث فى تلك الفترة فى معظم بلاد الشام، من دويلات عديدة مستقلة إلى دولة إسلامية موحدة شملت كثيرا من بلاد الشام، خلال عهدى الدولة الأتابكية (٥٢٢ - ٥٧٧ هـ/ ١١٢٨ - ١١٨١ م)، والدولة الأيوبية (٥٧٠ -

(١) د. محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الإنهيار (٤)، ص ٨٤ - ٨٥ (تحت الطبع).

(٢) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٢، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

٦٥٨ هـ / ١١٧٤ ـ ١٢٦٠ م)، وتبع ذلك تغير فى طبيعة المؤلفات التاريخية، من كتابات محدودة المدى الزمنى والمكانى، وتهتم برصد احداث إقليمية أو سيرة رجل، أو دولة، إلى المشاريع التاريخية الكبرى، ولم يكن الاستقرار السياسى هو الدافع الوحيد وراء ظهور تلك المؤلفات، وإنما كانت هناك أسباب أخرى تتعلق بسمعة نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى الطيبة التى جذبت العلماء من كل مكان إلى بلاد الشام[١].

وأصبحت لذلك بلاد الشام مركزا الثقل فى الكتابة التاريخية، خاصة بعد سقوط الخلافة العباسية فى عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، وتعاظم نتاج المؤرخين وخلف المؤرخ الواحد عشرات الكتب التى كان بعضا يصل إلى عشرات المجلدات، وبرغم وفرة المؤلفات التاريخية فى بلاد الشام إلا أنه لم يبق منها إلا القليل، وكانت الصراعات الدينية والمذهبية وراء فناء الكثير من هذه المصنفات، وتمثل المؤلفات الكثيرة التى كتبها المؤرخ ابن أبى طى مثالا على ذلك[٢].

وعلى الرغم من هذا التطور الذى شهدته مدرسة الشام، إلا أن الفكر التاريخى بها لم يتطور، ويرى الدكتور محمود إسماعيل أن أكثر ما كتب كان نقلا وتكرارا يفتقر إلى الإبداع والإبتكار، ويرجع ذلك إلى عقم المناهج إذا أفضى النظام الحولى الذى اتبعته معظم تلك المؤلفات إلى تجزئة الحوادث، كما كان اتباعهم منهج الإسناد الذى يهتم بالشكل دون المضمون خاصة أن كثيرا من المؤرخين كانوا حفاظا ومحدثين لذلك غلب السرد والوصف على التحليل والتعليل وسادت الرؤى والأسطورة والخرافة فى التفسير محل الحياد والموضوعية، وطغى أسلوب الصنعة اللفظية والزخرفة الأسلوبية على لغة العرض، وكان ذلك كله من أسباب تدهور الفكر التاريخى[٣].

---

(١) د. محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ٩١ ـ ٩٢.

(٣) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١١ .

رابعا ـ تطور انتشار المذهب الشيعى فى حلب:

ولد المؤرخ يحيى ابن أبى طى فى مدينة حلب، وقضى بها سنوات عمره، ولهذا وجدنا أن دراسة نشأ وتطور المذهب الشيعى فى حلب وموقف السلطات الحاكمة منه، من الجوانب المهمة التى تفيدنا فى فهم طبيعة المناخ الذى عاصره المؤرخ ابن أبى طى وكتب فيه.

دخل المذهب الشيعى فى حلب قبل عهد الدولة الحمدانية (٣٣٣ ـ ٤٠٦ هـ/ ٩٣٥ ـ ١٠١٥ م)، وانتشر وقوى فى عهدهم[١]، منذ عهد مؤسس الدولة «سيف الدولة الحمداني» (٣٣٣ ـ ٣٥٦ هـ/ ٩٣٥ ـ ٩٦٧ م)[٢]، وقد أشار ابن أبى طى فى كتاباته عن أحد المشاهد المقدسة لدى الشيعة، وهو «مشهد الدّكّة»[٣]، إلى اهتمام سيف الدولة الحمدانى بالشيعة، حيث قام ببناء هذا المشهد الذى اكتشف فى عهده فى عام ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، وقد روى ابن أبى طى تفاصيل هذا الموضوع، فقال: «عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء وجه الله تعالى وقربة إليه على اسم مولانا «المحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب» ـ عليهم السلام ـ الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان»[٤].

ثم صار المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى للدولة الحمدانية فى حلب منذ عهد سعد الدولة الحمدانى (٣٥٦ ـ ٣٨١ هـ/ ٩٦٧ ـ ٩٩١ م)، حيث قام فى عام ٣٦٧ هـ/

---

(١) الغزي : نهر الذهب ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٢) مشهد الدكة : يقع في غربي حلب ، وسمي بهذا الاسم لأن سيف الدولة كانت له دكة علي الجبل المطل علي المشهد يجلس عليها للنظر إلي حلبة السباق . وسوف نعرض كتابات ابن أبي طي عن هذا المشهد ضمن غيره من المشاهد في فصل كتابات ابن أبي طي عن حلب . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ (حلب) ، ص ١٤٧) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

(٤) أورد ابن العديم آراء أخرى ذكرت أنه كان في عام ٣٦٩ هـ/ ٩٧٩ ـ ٩٨٠ م أو في عام ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩ م . (زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٧٢) .

٩٧٧ ـ ٩٧٨ م[١] بتغيير الآذان فى حلب وزاد فيه عبارة: «حى على خير العمل محمد وعلى خير البشر»[٢]، وهى من شعائر الشيعة الخاصة بالآذان[٣].

وقد استمرت سياسة التسامح مع الشيعة من قبل السلطة الحاكمة فى حلب حتى بعد انتهاء حكم الدولة الحمدانية، ولهذا علا شأن الشيعة فى عهد دولة بنى مرداس (٤١٥ ـ ٤٧٢ هـ/ ١٠٢٤ ـ ١٠٨٠ م) وقد ظهر ذلك من خلال ما أورده «ياقوت الحموي» عن الفقهاء فى حلب فى عام ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ ـ ١٠٤٩م حيث ذكر أنهم كانوا يفتون فيها على مذهب «الشيعة الإمامية»[٤].

وقد أدت سياسة التسامح هذه إلى زيادة أعداد الشيعة الإمامية فى حلب بعد ذلك، حيث ذكر **ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ ـ ١١١٦ م: «أن أهل حلب كان أكثرهم إمامية»**[٥]، وأكد رأيه هذا «عز الدين بن شداد» فى إحدى رواياته فى عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م، وأوضح أن أهل حلب «كان الغالب عليهم.. التشيع»[٦].

ولعل ذلك كانَ من الأسباب التى جعلت الدولة الأتابكية فى حلب فى عهد الملك

---

(١) أهتم الشيعة بإضافة « حي علي خير العمل » في الأذان والإقامة لأنها كانت مدرجة فيه في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) وفي خلافة أبي بكر الصديق ، ثم أسقطت منه في خلافة عمر بن الخطاب . (الشوكاني : نيل الأوطار ، ج ٢ ، ص ٤٧ ؛ السيد أمير الكاظمي : الشيعة في عقائدهم ، ص ١٢٤) .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٣) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ . (أورد ياقوت هذا الخبر عن رسالة « ابن بطلان المتطيب » إلي هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في دولة بني مرداس) ؛ السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١١ .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ (مخطوط) .

(٥) الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٤١ (قسم حلب) .

(٦) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٤٦٨ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤

العادل نور الدين محمود بن زنكى (٥٤١ ـ ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ ـ ١١٧٤ م) تتخذ سياسة أخرى تجاه الشيعة لتحد من انتشار مذهبهم فى حلب، فقام لذلك نور الدين محمود فى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م بتغيير الآذان فى حلب ومنع المؤذنين من قولهم: «حى على خير العمل» فى آخر الأذان، وصدرت أوامره بتنفيذ هذا القرار بشدة وصرامة[١].

ولقد كان والد ابن أبى طى فى ذلك الوقت من كبار زعماء الشيعة فى حلب، ولهذا اهتم ابن أبى طى بالكتابة فى هذا الموضوع، وأمدنا بالكثير من التفاصيل المهمة التى انفرد بها، وأوردها فى كتابه «معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب» وذكرها عنه المؤرخ ابن الفرات فى كتابه تاريخ الدول والملوك، وقد عرضنا تفاصيل رواية ابن أبى طى عن هذا الموضوع ضمن كتاباته عن عهد نور الدين محمود فى فصل الدولة الأتابكية، وسوف نذكر هنا ملخصا لموقف نور الدين محمود من الشيعة.

أوضح ابن أبى طى فى مقدمة روايته عن هذا الموضوع أن نور الدين محمود كان عند بداية ولايته حلب فى عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، يبغى الاستمرار فى سياسة التسامح التى اتبعتها السياسات السابقة تجاه الشيعة فى حلب، وأنه لتأكيد ذلك قام بزيارة أحد المشاهد المقدسة لدى الشيعة فى حلب، وهو مشهد الدكة.

قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: كان نور الدين فى ابتدا أمره (يخار) على رأى أبيه فى إكرام الحلبيين، وتركهم والتظاهر بمذهبهم من الصلاة فى «شرقية الجامع»[٢]، و«أذان حى على خير العمل» فى منابر حلب، ومنارة الجامع والقلعة و الاستكثار منهم، وفى أثناء دخوله إلى حلب، ركب إلى مشهد مشهد الدكة زائر الضريح المدفون فيه، وأقام فيه بعض يوم»[٣].

---

(١) C . CAHEN : une chronique chiite au temps des croisades , p. ٢٦٥ .

(٢) كان هذا المكان مخصص للشيعة بجامع حلب ، أما السنّة فكان يُؤذن لهم في « شمالية الجامع تحت المنارة » . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢، ص ٣١٠ ، ج٣ ، ص ٢٩) .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٦٢ .

ثم تناول ابن أبى طى بعد ذلك التأثيرات الداخلية والخارجية التى تعرض لها نور الدين محمود منذ ولايته حلب فى عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م، والتى كان لها دور كبيرا بعد

ذلك فى تغيير سياسته تجاه الشيعة فى عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٦ م، وبمعنى آخر، انفرد بتوضيح المدة التى استغرقها نور الدين محمود حتى أصدر هذا القرار، وأنه لم يتم فجائيا، وإنما استغرق التفكير فيه عامين، فأوضح أن كبار زعماء السنّة فى حلب حاولوا التأثير على نور الدين محمود بعد ولايته حلب، ولكنه لم يقتنع فى البداية برأيهم، **فقال: «وكان اجتمع إلى الملك العادل نور الدين جماعة أهل السنة من حلب والقاضى «ابن الشهرزورى الأعور»، و«ابن الطرسوسي»، وقالوا له فى أمر الحلبيين أشيا فلم يقبلها»**[1].

وبعد فشل هذه المحاولة، استمرت جهود ابن الطرسوسى الرامية إلى قمع المذهب الشيعى فى حلب، وحاول بعد ذلك التأثير على نور الدين محمود من خارج حلب، ففى

عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م قام أثناء سفره رسولا عن نور الدين محمود إلى دمشق لعقد مصاهرة سياسية بين حلب ودمشق، بمحاولة جذب «معين الدين إنر» ـ الحاكم الفعلى للبلد ـ إلى صف السنّة ؛ كذلك عمل أيضا على جذب الفقيه «برهان الدين البلخي» ـ الذى كان مقيما فى دمشق فى ذلك الوقت ـ ومن الواضح أن جهوده أثمرت معه حيث سيلعب الفقيه برهان الدين بعد ذلك دورا كبيرا فى تنفيذ قرار نور الدين محمود بمنع شعائر الشيعة فى حلب فى عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م، ثم أوضح ابن أبى طى بعد ذلك الدور الذى لعبه ابن الطرسوسى وغيره من كبار السنّة فى حلب مع نور الدين محمود.

قال ابن أبى طى: «وقال ابن الطرسوسى أيضا للملك معين الدين صاحب دمشق: يجب أن تنكر أنت هذه الحال على نور الدين، فرد الملك معين الدين الرسالة، وقال: ما أزوج بنتى لمن يفعل فى بلده كيت وكيت، فرجع ابن الطرسوسى ومن كان معه فى الرسالة، وقالوا: للملك العادل نور الدين ما قاله لهم صاحب دمشق، وما شنع عليهم به وعظموا

(١) المصدر نفسه ، ورقة ٦٣ .

عليه الحال، وهونوا عليه أمر الحلبيين، وصرفهم عن ما هم عليه، و ضمنوا له أنه لا يتأذى بذلك..... وأن الملك لا يتأثر بذلك، وحملوه إلى أن أمر منع الحلبيين من ذلك»[١].

فصدر قرار نور الدين محمود بمنع شعائر الشيعة فى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وأمدنا هنا أيضا ابن أبى طى بالكثير من التفاصيل المهمة التى انفرد بذكرها، وساعده على ذلك أن كبار أفراد أسرته كانوا شهودا عيان على تلك الأحداث، كذلك انفرد ابن أبى طى بتفاصيل الدور الذى قام به الفقيه برهان الدين البلخى فى تنفيذ هذا الأمر، وكان بعض المؤرخين قد أشار فقط إلى هذا الدور[٢].

قال ابن أبى طى: «وفيها أخذ برهان الدين البلخى فى الاشتداد فى إنكار مذهب الشيعة، وجمع نور الدين جماعة من مقدميهم واعتقلهم فى القلعة فى «برج الزيت» وأجمع نور الدين على إيقاع المكروه بهم فراءى تلك الليلة مناما هآله فأمر بإطلاقهم، ثم..... فأمر بنفيهم وهم: «الفقيهان الصوريان» والفقيه «فضايل بن صفيل»، وهو جد أمى، والفقيه «محاسن بن ظافر»، عمى، ووالدى أبو طى النجار، وجماعة كثيرة»[٣].

ثم ختم ابن أبى طى كتاباته عن هذا الموضوع بتوضيح الدور الذى قام به الفقيه برهان الدين البلخى مع الشيعة فى حلب، فقال: «وتجرد برهان الدين البلخى الشريعة..... والتجاهر بالقبايح المنكرة، وأوجب على كل..... قادر متمكن إنزال البأس بهم والعقاب لهم، وجرت فى أمر هذه المسايل خطوب عظيمة من الإمامية والإسماعيلية وأهل السنة يطول شرحها»[٤].

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٦٣ ؛ C . CAHEN : Op. Cit , p. ٢٦٤

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص ٧٩ ؛ العبر ، ج ٣ ، ص ٦ ؛ النعيمي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ؛ العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٩٧ ؛ C . CAHEN : Op. Cit , p. ٢٦٥

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ٩٨ .

هكذا تم تنفيذ قرار نور الدين محمود بمنع شعائر الشيعة فى حلب فى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، وقد ظل على موقفه المتشدد هذا تجاه الشيعة طوال عهده، وقد أذعن الشيعة لهذا القرار على مضض، وكانوا دائما فى حالة ترقب وانتظار فرصة مواتية للتذمر، وقد واتتهم هذه الفرصة فى عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م عندما أصيب نور الدين محمود بمرض كاد أن يودى بحياته، فدار حينئذ صراعا بين زعماء السنة و الشيعة فى حلب، وانتهى بنفى الكثير من زعماء الشيعة إلى حران، ومن بينهم والد ابن أبى طى[1].

ثم تجدد الصراع بين السنة والشيعة فى حلب بعد وفاة نور الدين محمود فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، وقبل وصول ولده **«الملك الصالح إسماعيل»** (٥٦٩ - ٥٧٧ هـ / ١١٧٤ - ١١٨١ م) من دمشق لولاية حلب، ثم ما لبث أن انتهى بعد وصول الملك الصالح إلى حلب، حيث أجبرته الظروف الخارجية **إلى تغيير سياسة والده التى اتبعها مع الشيعة فى** حلب منذ عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، عندما تعرضت حلب فى شهر جمادى الآخرة عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م لحصار شديد من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبى وخشى الملك الصالح من أن يتخذ الشيعة فى حلب موقفا مغايرا ويرفضون الدفاع عن حلب، ولهذا وافق على كل ما طلبوه لكسب ولائهم. وقد انفرد ابن أبى طى بنص مهم تناول فيه تفاصيل هذا الموضوع[2]، وكان والده أحد شهود العيان فيه فقال: **«وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح أنه يعيد إليهم شرقية الجامع يصلّون فيها على قاعدتهم القديمة، وأن يُجهر بحّى على خير العمل، والأذان والتذكير فى الأسواق ؛ وقدّام الجنائز بأسماء «الأئمة»**[3]

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٣، ج ٥ ، ورقة ١٠٩ - ١١٠؛ C . CAHEN : : op . Cit, pp. ٢٦٦-٢٦٧ .

(٢) ألمح ابن العديم إلي بعض الامتيازات التي منحها الملك الصالح إسماعيل للشيعة فقال : « وأعطي الشيعة « الشرقية » في المسجد الجامع ، فكانوا يجتمعون بها للصلاة » . ولكنه اختلف مع ابن أبي طي في توقيت منحهم هذه الامتيازات . فذكر أنها كانت أثناء حصار صلاح الدين الثاني لحلب في شوال عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م . (زبدة الحلب ، ج ٣، ص ٢٩).

(٣) يهتم الشيعة بذكر أسماء الأئمة عند دفن الميت، فيقوموا أولا بتلاوة أسماء الأئمة واحدا تلو الآخر حتى زمان المتوفى ، وبعد انتهاء الدفن يظل أحد المقربين للمتوفى ويعيد قراءة أسماء الأئمة مرة أخرى . (العاملي : وسائل الشيعة ومستدركاتها ، ج ٤ ، ص ٤٥ - ٤٨ ، ٧٩) .

الاثنى عشر، وأن يصلوا على أمواتهم «خمس تكبيرات»[١]، وأن تكون عقود الأنكحة إلى الشريف «الطاهر أبى المكارم حمزة بن زهرة الحسني»[٢]، وأن تكون العصبية مرتفعة، والناموس وازع لمن أراد الفتنة ؛ وأشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله. فأجيبوا إلى ذلك. فأذن المؤذنون فى منارة الجامع وغيره بحّى على خير العمل وصلى أبى فى الشرقية «مسبّلا»[٣]، وصلى وجوه الحلبيين خلفه، وذكروا فى الأسواق وقدّام الجنائز بأسماء الأئمة، وصلوا على الأموات خمس تكبيرات، وأذن للشريف فى أن تكون عقود الحلبيين من الإمامية إليه، وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه»[٤].

وقد ظلت سياسة التسامح التى اتبعها الملك الصالح إسماعيل تجاه الشيعة مستمرة طوال عهده (٥٦٩ ـ ٥٧٧ هـ / ١١٧٤ ـ ١١٨١ م)، وولد المؤرخ ابن أبى طى فى ظل هذه السياسة فى شوال عام ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م[٥]، و استمرت هذه السياسة أيضا فى فترة حكم أبناء عم الملك الصالح إسماعيل فى حلب «عز الدين مسعود وعماد الدين بن مودود بن زنكي» (٥٧٧ ـ ٥٧٨ هـ / ١١٨١ ـ ١١٨٣ م)[٦].

ثم خضعت حلب لسلطة الدولة الأيوبية منذ شهر صفر عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، ونشأ المؤرخ ابن أبى طى وعاش طيلة حياته فى ظل هذه الدولة حتى وفاته ـ حسب

(١) التكبير عند السنّة في صلاة الجنائز « أربع تكبيرات » ، أما الشيعة فيكون التكبير لديهم «خمسا » على عدد الصلوات في كل يوم . (الشوكاني : نيل الأوطار ، ج ٣ ، ص ٧١ ـ ٧٣ ؛ العاملي : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤١٠ ـ ٤١١) .

(٢) الشريف الطاهر أبو المكارم حمزة بن علي زهرة الحسيني الإسحاقي الحلبي : من رؤوس الشيعة في حلب ، ولد في رمضان عام ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، ألف كتاب « قبس الأنوار في نصرة العترة الأخيار » و « مسألة في نفي الرؤية واعتقاد الإمامية ومخالفيهم ممن ينتسب إلي السنة و الجماعة » . توفي في رجب عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . (ابن شهراشوب : معالم العلماء ، ص ٤٠ ؛ السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، ج ٢٨ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٤) .

(٣) مُسَبّل : يقال للرجل إذا كان طويل اللحية . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١٦٤) .

(٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ .

(٥) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٥ .

(٦) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٤ .

التاريخ الذى رجحه الكتبى - فى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣ م[١].

ومن الواضح أن سياسة الدولة الأيوبية فى حلب تجاه الشيعة لم تتغير، فلم نجد أية إشارة تشير إلى تعصب الدولة أو اتخاذها موقفا متشددا تجاه الشيعة، وعلى العكس من ذلك اشتهر عن السلطان صلاح الدين الأيوبى أنه واصل سياسة التسامح مع الشيعة[٢]، ومن الواضح أن هذه السياسية استمرت فى فترة «الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين» (٥٨٣ - ٦١٣ هـ / ١١٨٧ - ١٢١٦ م)، وظهر لنا ذلك من اهتمامه بكبار الشيعة بحلب فاهتم بابن أبى طى و«استقر فى شعرائه»[٣]، كما أهتم أيضا بأحد كبار علماء الشيعة عندما استقر فى حلب وهو «الأشرف بن الأعز المعروف بتاج العلى العلوي»، ووفر له ما يحتاجه من المال والطعام شهريا[٤]، وواصل أيضا «الملك العزيز بن الملك الظاهر بن صلاح الدين» (٦١٣ - ٦٣٤ هـ / ١٢١٦ - ١٢٣٦ م) سياسة التسامح مع الشيعة، وأبلغ دليل على ذلك هو اختياره «جمال الدين على بن يوسف القفطى[٥]» لمنصب الوزارة بحلب

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٢) نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، ص ٥

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٨، ص ٣٨٦ (رواية ابن أبي طي)؛ الصفدي: نكت الهميان، ص ١٠٠ (رواية ابن أبي طي)؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج ٤، ص ١٨٧٦، ١٨٨٠. تناولنا النص الكامل لرواية ابن أبي طي عن الأشرف بن الأعز وموقف الظاهر منه في فصل التراجم.

(٥) هو علي بن يوسف بن إبراهيم جمال الدين أبو الحسن ابن القفطي: أحد الكتاب المشهورين، ولد بقفط عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م، سمع الحديث بمصر وروي عن الحافظ السلفي، ثم ترك مصر وأقام بحلب، ألف العديد من المؤلفات التاريخية منها: أخبار مصر من ابتدائها إلي أيام صلاح الدين (ست مجلدات) كتاب تاريخ المغرب، كتاب تاريخ اليمن تاريخ محمود بن سبكتكين وبيته، كتاب تاريخ السلجوقية، كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس، كتاب تاريخ بني بويه، وتوفي في حلب عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م. (ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٨١ - ٣٩٧؛ الأدفوى: الطالع السعيد، ص٤٣٦ - ٤٣٧؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ١١٧ - ١١٨).

فى أعوام ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م[١]، و ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦ م[٢]، وكان شيعيا[٣].

ولقد كان لهذه السياسة أثر كبير لدى المؤرخ ابن أبى طي، فاهتم بتدوين أخبار الدولة الأيوبية، وأفرد لها كتبا مستقلة، فوضع كتابات مهمة عن تاريخ السلطان صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية فى حلب، وهو بعنوان «كنز الموحدين فى سيرة صلاح الدين»، وكتابا آخر خصصه لتأريخ فترة حكم الملك الظاهر بن صلاح الدين وهو «عقود الجواهر فى سيرة الملك الظاهر»[٤].

أسرة ابن أبى طى:

نشأ ابن أبى طى فى مدينة حلب فى أسرة تعتنق مذهب الشيعة «الإمامية[٥]»[٦] «الإثنى عشرية[٧]»[٨]، وهو المذهب الذى كان يعتنقه غالبية أهل حلب، وقد ذكر ذلك ابن أبى طى

---

(١) الأدفوى : المصدر السابق ، ص ٤٣٧ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١.

(٣) ذكر ياقوت أن أمه تزوجت من بني عمها العلويين ، كما أورد أغابرزك الطهراني مؤلفات الوزير جمال الدين ابن القفطي ضمن كتابه عن تصانيف الشيعة . (ياقوت : معجم الأدباء ؛ ج ٤ ، ص ٣٨١ ؛ أغابرزك الطهراني : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ج ٣ ، ص ٢١١ ـ ٢١٢) .

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٥) الإمامية : إحدى فرق الشيعة الخمسة ، وهم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة و السلام نصا ظاهرا وتعيينا صادقا . (الشهرستاني : الملل و النحل ، ج ١ ، ص ١٦٢) .

(٦) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ ، ٣٤٤ .

(٧) الإثنى عشرية : إحدى الفرق التي ينقسم إليها الإمامية ، وأطلق عليهم ذلك لقولهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلي علي بن أبي طالب . (البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٦٤) .

(٨) ظهر اعتناق ابن أبي طي وأسرته مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية من خلال لروايات العديدة التي ذكر فيها الأئمة الإثنى عشر ، وأضفى عليهم هالة مقدسة، وأورد ذكرهم ضمن الشعائر الرسمية لمذهب الشيعية الإمامية في حلب ، فقال عند ذكره مخطط بعض زعماء السنة في حلب ودمشق لقمع الشيعة وتحريضهم نور الدين محمود علي ذلك في عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م : « فقرر

من خلال كتاباته، فأوضح فى رواية مهمة أوردها فى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ - ١١١٦ م، التقسيم المذهبى فى حلب فقال: «قال لى أبى:.. إن أهل حلب كان أكثرهم إمامية»[١].

فنشأت أسرته مثل أكثر أهل حلب تدين بهذا المذهب، بل نستطيع أن نقول من خلال ما وصلنا عن أسرته أنهم كانوا من كبار فقهاء الشيعة الإمامية فى حلب، حيث أمدنا ابن أبى طى فى كتاباته ببعض التفاصيل التى توضح مكانة أسرته الدينية فى حلب، كما أورد أسماء بعض منهم:

١ - عم والده - أسد بن على الغسانى أبو الفضل الحلبى:

ذكره فى كتاباته عن تراجم الشيعة، وأوضح أنه درس الأصول على مذهب الإمامية وألف بعض الكتب فى فضائل آل البيت[٢].

٢ - عمه - محاسن بن ظافر:

كان من كبار فقهاء الشيعة فى حلب، وهو من الفقهاء الذين أوردهم ابن أبى طى عند ذكره للإجراءات التى اتخذها نور الدين محمود مع كبار الشيعة فى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م[٣].

الأمر علي أن يرسل إلي الملك العادل نور الدين ، وينكر عليه التغاضي لما يفعله الحلبيون من الآذان والصلاة في الجامع ، وذكر الأئمة الإثنى عشر قدام الجنايز » ، كما ذكر أيضا ابن أبي طي بعد وفاة نور الدين محمود ، وعند موافقة ولده الملك الصالح إسماعيل علي إعادة شعائر الشيعة لما كانت عليه ، أن الشيعة اشترطوا عليه : « التذكير في الأسواق ، وقدام الجنائز بأسماء الأئمة الإثنى عشر » ، وكان والده حاضرا أثناء تنفيذ تلك الشعائر كما سنوضح فيما بعد . (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٦٣) .

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ (مخطوط) .

(٢) ابن حجر : لسان الميزان ، ج ١ ، ص ٤٩٨ . سنوضح المزيد عنه في فصل كتابات ابن أبي طي عن التراجم .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٩٧ .

٣ – جده لأمه ـ فضايل بن صفيل:

كان أيضا من كبار فقهاء الشيعة فى حلب، أشار إليه ابن أبى طى ضمن من سرى عليهم قرارات نور الدين محمود السابقة[١]، ولكنه لم يحدد هنا أن كان جده لامه من ناحية الأب أم الأم، ومن الراجح أنه كان جده لامه من ناحية الأم، لانه ذكر فى رواية أخرى أسم والد أمه وهو:

٤ – والد أمه ـ الفقيه المصرى أبى منصور محمد بن أبى عبيد الله البحترى الطائى :

ذكره ابن أبى طى ضمن رواية أوردها على لسان أبيه، وفيها ذكر والده ظروف ولادة ابن أبى طى، فقال والده: «تزوجت ابنة الفقيه المصرى أبى منصور محمد بن أبى عبيد الله البحترى الطائى ورزقت منها ولدا سميته «عليا»، فعمر سنة وأياما ثم مات..... ثم لم يبعد الزمان حتى تبين لى حمل الزوجة»[٢].

٥– والد ابن أبى طى:

كان والد ابن أبى طى يتمتع بمكانة دينية كبيرة فى حلب، وقد توافرت لدينا المزيد من المعلومات التى ذكرها ابن أبى طى عنه ونبدأ بذكر:

اسم ونسب والد ابن أبى طى:

لاحظنا أثناء بحثنا فى كل الكتابات التى كتبت اسم المؤرخ ابن أبى طى قديما وحديثا أن كتابة اسم والده ونسبه يختلف من كتاب لآخر، وقد تبين لنا أن اسم والده كان اسما مركبا من اسمين، لأنه لم يكن يفصل بين الاسمين بكلمة «ابن» الاسم الأول: «أبى طي»، أما الثانى فكان يكتب مختلفا فى معظم الكتب، فكان يكتب: «حميد أو حميدة أو أحمد أو

(١) المصدر نفسه والورقة ؛ CAHEN : La Syrie De Nord , p.٥٥ C.

(٢) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٦ .

حامد»، وكان يضاف إليه أحيانا صنعته، وهى «النجارة»، فيقال: النجار. أما باقى نسبه فقد اتفق كثير من المؤرخين فى أنه كان «**ظافر بن على بن عبد الله الغسانى الحلبي**»[١]، وهناك من رفع نسبه إلى أبعد من ذلك، فقيل: «ظافر بن على ابن الحسين بن على بن محمد بن الحسن ابن صالح بن على بن سعيد بن أبى الخير الطائى البخارى الحلبي»[٢].

وقد حسم ابن **أبى طى الخلاف** فى كتابة اسم والده، حيث ذكره فى عدة مواضع عند استشهاده ببعض الروايات التى كان يعتمد عليه فيها، فقال فى موضع: «قال والدى «**أبو طى النجار**»[٣]، وفى موضع آخر فى إحدى نسخ كتابه عن سيرة السلطان صلاح الدين: «حدّثنى والدى **حميد النجار**»، و فى النسخة الأخرى، قال: «حدّثنى والدى **أبو طى حميد النجار**»[٤]. وفى هذه النسخة الأخيرة تأكيد من ابن أبى طى على أن

والده كان يسمى «أبو طى حميد النجار». وكان يختصره أحيانا إلى أبى طى النجار وأحيانا أخرى إلى حميد النجار. وهذا يوضح أن ابن أبى طى أخذ شهرته من اسم والده.

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ٧ ، ص ٣٣٧٧ ؛ ج ٩ ، ٤١٦٧ ؛ الكتبي : فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ١ ؛ أحداث عام ٥٠١ هـ ؛ المقريزي : المقفى ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ٣٤٤ ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ الغزي : نهر الذهب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ؛ الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ٣٧٨؛ CAHEN : C. op. cit , p.٥٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ١٧٥ ؛ أغابرزك الطهراني : الذريعة إلي تصانيف الشيعة ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ؛ نظير حسان سعداوي : لمؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ٣ ؛ الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ؛ عبد الصاحب عمران الدجيلي : أعلام العرب ، ج ٢ ، ص ٥٦ ؛ السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، ج ٥٢ ، ص ١٥ ؛ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١٣ ، ص ١٩٥ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ ؛ عبد الصاحب: المرجع السابق ، ج ٢، ص ٥٦ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٦ .

(٤) كتب د : محمد حلمي أحمد محقق كتاب الروضتين في هامش رقم (١) : « في « ك » وهي رمز لأحد نسخ الروضتين : « أبو طي حميد النجار » . (المصدر نفسه ، ص ٢٧، طبعة دار الكتب).

كما اهتدينا إلى ضبط جزء كبير من سلسلة نسب والد ابن أبى طى، من خلال كتابات ابن أبى طى عن نسب عم والده «أسد» الذى ذكرناه من قبل، فقال بعد أسد «على بن عبد الله بن أبى الحسن بن محمد بن الحسن الغسانى الحلبي»[1]. ونستخلص من هذا كله أن اسم والد ابن أبى طى و نسبه هو: «أبو طى حميد النجار بن ظافر بن على بن عبد الله بن أبى الحسن بن محمد بن الحسن الغسانى الحلبى».

مولد والد ابن أبى طى:

لم تتوافر لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ العام الذى ولد فيه والد ابن أبى طي، ولكننا وقفنا على حادثة كتبها ابن أبى طى تشير إلى الفترة التى ولد فيها، حيث أورد فى أحداث عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م رواية توضح تحويل إحدى الكنائس فى حلب إلى مسجد وروى ابن أبى طى هذه الحادثة عن والده، وذكر أن جده كان يصحب والده إلى هذا المسجد، ليصلى فيه، وليقرأ القرآن على أحد الأئمة فيه، وأن والده بعد أن يفرغ من الصلاة و أخذ الدرس كان يقوم بمحو بعض الآثار المتبقية من الكنيسة . قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: أذكر وقد أخذنى والدى إلى هذه الكنيسة، وقد عمرت مسجدا، وفيها رجل من أهل حلب يقال له «يوسف المصري» وكان إماما فى علم الدين، و كان يقرئ القرآن فيها، فكنت أقرأ، عليه فإذا فرغنا من القرآن... فى جوانب الكنيسة، فنكشط الصور ونقلع من حيطانها أشيا من الرخام و الفسيفسا، وصُيرت هذه الكنيسة مدرسة أوقف عليها الملك العادل نور الدين محمود بن عما د الدين زنكى وقوفا كثيرة وتسمى النورية»[2].

وهذا النص يشير إلى أن والده كان لا يزال صغيرا فى هذه الفترة، وكان قد بلغ السن الذى يتلقى فيه العلم ويقرأ القرآن، ويميل فيه أيضا إلى اللعب، ونرجح أنه كان ما بين الخامسة أو السادسة من عمره حتى الثانية عشر أى أن مولده كان فى العشر سنوات الثانية

(١) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ؛ ورقة ٦٧ .

من القرن الثانى عشر الميلادى، وفى مطلع القرن السادس الهجرى. وكانت بعض الدراسات الحديثة قد بحثت فى تاريخ مولده، وحددوا فترات تقريبية لهذا التاريخ، فذكر كلود كاهن أن ولادته كانت فى العشر سنوات الأولى من القرن الثانى عشر الميلادى[١]، كما قيل أنه ولد فى مستهل القرن الثانى عشر الميلادى[٢]، وقيل أيضا

فى الثلث الأول من القرن الثانى عشر الميلادى[٣].

دراسة والد ابن أبى طى:

نشأ والد ابن أبى طى كغيره من أبناء الأسر المسلمة على قراءة القرآن الكريم وحفظه، وقد ذكر ابن أبى طى فى معرض حديثه فى أحداث عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م عن موضوع الكنيسة التى تحولت إلى مسجد أن والده كان يقرأ القرآن فى هذا المسجد على أحد الأئمة من أهل حلب وهو «**يوسف المصري**» وذكر عنه «**أنه كان إماما فى علم الدين**»[٤]

كما ذكر ابن أبى طى فى أثناء كتاباته عن فقهاء الشيعة أن والده درس على الفقيه «**الحسن بن إبراهيم بن محمد بن جعفر الحمصي**»، وكان فقيها فى مذهب الشيعة الإمامية، وأخذ عنه والده بعد ذلك[٥].

صناعة والد ابن أبى طى:

كان والد ابن أبى طى يعمل نجارا، وقد ذكر «الكتبي» أنه كان ماهرا فى صناعته،

---

(١) C . CAHEN : La Syrie De Nord , p . ٥٥

(٢) الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥.

(٣) نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، ص ٣.

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٦٧ .

(٥) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٢٣٤ .

ولهذا كان «مقدما على كل نجار بحلب»[١]، ولهذا ذكر كلود كاهن أنه كان رئيسا لطائفة النجارين بحلب[٢].

وقد لاحظنا أيضا انه بالإضافة إلى ما كان يقوم به والد ابن أبى طى من أعمال، أنه كان مهتما أيضا بدراسة التاريخ، وظهر ذلك من خلال حرصه على تسجيل الأحداث التاريخية، وقد ذكر ابن أبى طى فى إحدى رواياته أنه اعتمد على «مجموع» ألفه والده[٣]، ومن الواضح أنه جمع فيه كثيرا من الأحداث التى عاصرها، وصارت بعد ذلك مصدرا هاما من مصادر ولده، هذا فضلا عما كان يحدثه به من أخبار.

مكانة والد ابن أبى طى الدينية فى حلب:

بلغ والد ابن أبى طى مكانة وشهرة كبيرة فى زعامة الشيعة الإمامية فى حلب، وقد وقفنا على هذه المكانة التى بلغها والده من خلال عدة أحداث وردت فى كتابات ابن أبى طى عن الفقيه «محمد ابن على بن شهراشوب المازندراني» ت ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢ م»[٤]، حيث ذكر أنه عند وصول هذا الفقيه الكبير إلى حلب نزل على والده فى داره، وظل مقيما معه وزوجه ابنة أخته[٥].

نفى والد ابن أبى طى من حلب فى عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م:

نظرا للمكانة الدينية التى كان يحتلها أبو طى النجار فى حلب سرى عليه قرار نور الدين محمود بنفى زعماء الشيعة من حلب فى هذا العام، وقد أمدنا ابن أبى طى بتفاصيل هذا الموضوع فى عدة مواضع متفرقة من كتاباته، فذكر حادثة النفى فى أحداث عام ٥٤٣

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .

(٢) La Syrie De Nord , p . ٥٥ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥.

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

(٤) أوردنا الترجمة التي ذكرها له ابن أبي طي في فصل التراجم .

(٥) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

هـ/ ١١٤٨ م، فقال: «جمع نور الدين جماعة من مقدميهم (الشيعة) واعتقلهم فى القلعة فى برج الزيت، فراءى تلك الليلة مناما هآله فأمر بإطلاقهم ثم... فأمر بنفيهم وهم:... ووالدى أبو طى النجار وجماعة كثيرة»[١].

ثم عاد والد ابن أبى طى مرة أخرى إلى حلب - ولم نعلم تاريخ عودته - وبعد عودته بلغ مكانة كبيرة فى زعامة الشيعة فى حلب، وظهر ذلك من خلال أحد النصوص المهمة التى أوردها ابن الفرات، وإن كان لم يصرح فيها أنه اعتمد على ابن أبى طى إلا أنه أورد تفاصيل مهمة عن دور والد ابن أبى طى فى الفتنة التى قامت فى حلب فى عام ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م أثناء إصابة نور الدين محمود بمرض كاد أن يودى بحياته، وقد صرح ابن الفرات فى هذا النص أن والد ابن أبى طى كان: «رأس الشيعة بحلب»، وأوضح دوره القيادى فى أحداث الفتنة، والتى كانت بعد ذلك سببا فى نفيه إلى «حران» بعد شفاء نور الدين محمود، و تولى هناك «الحسبة»[٢].

ثم أوضح ابن أبى طى فى موضع آخر فى أحداث عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ م أثناء ذكره خبر القبض على «بنى الداية (أخوة نور الدين محمود فى الرضاعة) وعز الدين جردريك» - وهم الذين كانوا يعاونون نور الدين محمود فى كل أموره - أن نفى والده تم بسبب تحريضهم له على ذلك، فقال: «وكان» أولاد الداية و جردريك «قد تعصبوا (على والده) حتى نفاه نور الدين من حلب»[٣]. ولهذا أظهر والده الفرحة بعد إلقاء القبض على بنى الداية وجردريك فى هذا العام، وكتب قصيدة هجا فيها أولاد الداية وجردريك فقال :

بنُو فلا نة أعوان الضّلالة قد قضى بذلّهم الأفلاك و القدر

وأصبحوا بعد عز الملك فى صفد وقعر مظلمة يغشى لها البصر

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ، م ٣ ، ج ٥ ، ورقة ١٠٩ - ١١٠ ؛ C . CAHEN : une chronique, pp.٢٦٦-٢٦٨ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢، ص ٦٠٩ .

وجرّد الدهر فى جرديك عَزمته والدهر لا ملجأ منه ولا وزر »[١]

وقد أوضح «ابن الفرات» أن بنى الداية كانوا من أشد المتعصبين لمذهب السنة، وكانت بأيديهم تمشى أحوال السنة بحلب، وأنهم هم الذى حببوا إلى الملك العادل نور الدين محمود الميل إلى السنة[٢]، وهذا يفسر لنا سبب كره والد ابن أبى طى لبنى الداية.

وقد ظل والد ابن أبى طى منفيا خارج حلب لمدة لا نعلمها، و لكن من المؤكد أنه دخل حلب بعد وفاة نور الدين محمود، حيث أوضح ابن أبى طى فى كتاباته عن أحداث عام ٥٧٠ هـ أن «الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين» اتبع سياسة التسامح مع الشيعة فى حلب، وسمح لهم مرة أخرى بممارسة شعائرهم، وقد دخل والده حلب وصلى فى مسجدها فى الناحية الشرقية منه و التى كانت مخصصة للشيعة، ووقف إماما وصلى الشيعة من خلفه، فقال ابن أبى طى فى ذلك: «وصلى أبى فى الشرقية مسبّلا، وصلى وجوه الحلبيين خلفه[٣].

وهذا النص يعكس احتفاظ والد ابن أبى طى بمكانته الدينية فى حلب والتى ازدادت مع مرور الأعوام.

هذه الأسرة هى التى نبت فيها المؤرخ ابن أبى طى، وكما رأينا فقد كان لوالده مكانة دينية وصناعية كبيرة فى حلب ولهذا كان له تأثيرا كبيرا على ابن أبى طى وكان أحد مصادره المهمة فى كتاباته التاريخية، وسوف نوضح ذلك فى الصفحات القادمة.

مولد ابن أبى طى:

اتفقت آراء معظم المؤرخين القدامى والمحدثين على أن ولادة ابن أبى طى كانت فى

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٠٨ .
(٢) المصدر السابق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٠٧ (المطبوع) .
(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ .

مدينة حلب[١]، فى عام ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م[٢]، وقد حدد ابن أبى طى تاريخ مولده فى إحدى الروايات التى أوردها عن والده، وذكر أن مولده كان فى أوائل شهر شوال من هذه السنة[٣]، كما ذكر فى نفس الرواية أيضا أن والده أسماه يحيى[٤]، وكناه «أبا الفضل»[٥]، وكان ابن أبى طى يكنى أيضا «بأبى زكريا»[٦] و «منتجب الدين»[٧].

وقد روى ابن أبى طى عن والده المزيد عن التفاصيل حول مولده، وبدأ روايته بمقدمة أوضح فيها أن والده كان لا يعيش له أبناء ذكور قبله، وأورد عدد من الرؤى التى بشرت والده بقرب مولد الولد الذى طال انتظاره. فقال: «حدثنى والدى، رحمه الله، قال: كان لا يعيش لى ولد، وكنت أربيهم إلى سبع أو خمس ثم يموتون، ولقد بُشرت بخمسة و عشرين ولدا فجعت بهم، وكنت أكثر الابتهال إلى الله فى أن يرزقنى ولدا، ويمن على بحياته. ثم ماتت الزوجة، فأريت فى النوم كأننى قد دخلت إلى مسجد عظيم فيه جماعة أعرفهم من الحلبيين، فسلمت عليهم فقام إلى رجل منهم فأخذ بيدى، ثم أجلسنى فى زاوية من زوايا المسجد، وناولنى ريحانة لم أر أزكى ريحا منها، فلما حصلت الريحانة فى يدى، إذا هى قد أظهرت وردا فجعلت أعجب من حسنة وزكاء رائحته فذبلت منه وردة وسقطت، فحزنت

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ٣٤٤ .

(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ٣٤٤ ؛ نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، ص ٣ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ؛ السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٥.

(٣) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ١ ؛ أحداث عام ٥٠١ هـ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ ؛ محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

(٥) المقريزي : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ٣٤٤ ؛ محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧.

(٦) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ قسم حلب ، ص ٣٥٧ ؛ الغزي : نهر الذهب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٧) ابن شداد :المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٧ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٣

لها، فقال لى الرجل: ليهنئك إن لن تفقد غيرها، فقلت للرجل: من أنت أسعدك الله ؟ فقال: سالم فاستيقظت و أنا فرح فعبرت المنام فقلت الريحانة زوجة صالحة، والورد الذى فيها أولاد، والوردة التى ذبلت أننى أفقد أحدهم، واسم الرجل سالم بشارة بسلامة الأولاد الذين يأتون فيما بعد. وفى تلك الأيام تزوجت ابنة الفقيه المصرى «أبى منصور محمد بن أبى عبيد الله البحترى الطائي»، ورزقت منها ولدا سميته «عليا»، فعمر سنة و أياما ثم مات فعظم به مصابى، ويئست من الولد.

ثم لم يبعد الزمان حتى تبين لى حمل الزوجة فأشفقت من ذلك، واغتممت ولازمت الدعاء فى كل صلاة، وكان قد بلغنى أنه إذا أراد الإنسان طلب الولد قال فى جوف الليل فى دعاء الوتر: «رب لا تذرنى فردا و أنت خير الوارثين، رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، اللهم لا تذرنى فردا وحيدا مستوحشا فيقصر شكرى عند تفكيرى، بل هب لى من لدنك أنيسا وعقبا ذكورا وإناثا، أسكن إليهم فى الوحشة، وآنس بهم فى الوحدة، وأشكرك عند تمام النعمة، يا وهاب، يا عظيم أعطنى ما سألتك عاقبة منا منك، وارزقنى خيرا، حتى أنال منتهى رضاك عنى، فى صدق الحديث، وشكر النعمة، والوفاء بالعهد، إنك على كل شئ قدير». وكنت ألازم ذلك[1].

ثم روى ابن أبى طى كيف بُشر والده بمولده فقال: «فلما كان أوائل «شوال»[2] رأيت بعد أن صليت وردى، وكنت يومئذ أنام تحت السماء «لزمن القيظ»[3]، كأن إنسانا خرج إلى من الحائط فجاء حتى وقف من خلفى من جهة الشمال، ثم استفتح فقرأ: « بِسم الله الرَّحمَن

(١) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢) يقابل في جدول مقابلة السنين الهجرية والميلادية شهر « مارس » عام ١١٨٠ م .

(٣) القَيْظُ : صميم الصيف . ويكون خلال شهور : يونيو ويوليو وأغسطس . وهذا يخالف ما أثبتناه في الهامش السابق ، وهذا يعنى أن والد ابن أبي طي لم يكن دقيقا في روايته عن وصف حالة الجو وقت ولادة ابن أبي طي في شهر شوال . وعلي العكس من ذلك فإن ولادة ابن أبي طي في شهر مارس يعنى أنه ولد ما بين الشتاء والربيع (ابن منظور : لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣)

الرَّحِيمِ كهيعص إلى قوله اسمه يَحْيَى»[١]، ثم أمسك، فاستيقظت، وقلت هذه بشارة بولد يكون اسمه يحيى، قد سماه الله بذلك، بشارة بحياته، فشكرت الله سبحانه. فغلبنى النوم، فرأيته قد جاء حتى وقف أمامى، ثم استفتح وقرأ «سورة مريم» إلى قوله: «وَيَرِثُ مِن ءَالِ يَعقُوبَ»[٢] ثم أمسك فاستيقظت، وقلت الحمد لله هذه بشارة لى بحياته، وأنه يرثنى، فشكرت الله سبحانه،

وأضاء الصبح فقضيت صلاتى، فلما كانت الليلة التى ولدت يا ولدى فيها أخذ عينى النوم، فسمعت كأن قارئا يقرأ السورة بعينها حتى بلغ إلى قوله تعالى: «وآتَينَاه»[٣] الحُكمَ صَبِيًا»[٤]، فاستيقظت والنساء يصحن لك البشرى هذا ولد ذكر، فشكرت الله تعالى»[٥].

ثم قال ابن أبى طى قال أبى: «واستدعيتك إلى وأذنت فى أذنك اليمنى وأقمت فى اليسرى، وحنكتك بشئ من تربة الحسين بن على عليهما السلام فى ماء عذب، وسميتك يحيى وكنيتك «أبا الفضل»، وكان مولدك أوائل شوال سنة ٥٧٥ هـ فى السنة التى «ولد»[٦] فيها الإمام «الناصر»[٧] رضى الله عنه»[٨].

---

(١) سورة مريم الآية من ١ إلى ٧ .

(٢) الآية من ١ إلى ٦ .

(٣) أخطأ السيد محسن الأمين في كتابة هذه الكلمة ، والصواب : « ءاتيناه » . (سورة مريم : آية ١٢ ؛ السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، ج ٥٢ ، ص ١٦) .

(٤) سورة مريم : الآية ١٢ .

(٥) محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٦) نري أن المقصود هنا كلمة « ولي » ، لأن الخليفة العباسي « الناصر لدين الله » تولي الخلافة العباسية في شهر ذي القعدة عام ٥٧٥ هـ/ ١١٨٠ م . (السيوطي : الخلفاء ، ص ٤٤٨) .

(٧) هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضئ : وصفه والد ابن أبي طي بالإمام، لأنه كان كما ذكر السيوطي : « يتشيع ويميل إلي مذهب الإمامية بخلاف آبائه » . واستمرت فترة خلافته حتى وفاته في رمضان عام ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م . (الخلفاء ، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢) .

(٨) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

وقد أضاف المؤرخ «الكتبي» نقلا عن ما رواه عن «ياقوت الحموي» بعض التفاصيل الآخرى حول مولد ابن أبى طى، فذكر أنه فى ليلة مولده: « حملته جارية وصعدت به السطح ليلة الميلاد، «وكانت شديدة البرد»[١]، فأخذه «اضطرام»[٢] و «إفحام»[٣] وابيضت عيناه جميعا، ولازمه الرمد إلى أن احتلم فتجلت مما كان فيها من البياض»[٤].

شيوخ ابن أبى طى:

تعرفنا على بعض شيوخ ابن أبى طى من خلال ما ذكره بعض المؤرخين القدامى والمحدثين عنهم، و أيضا من خلال ما أورده ابن أبى طى عنهم فى مؤلفاته التى ترجم فيها لفقهاء الشيعة الإمامية[٥]، ويأتى فى مقدمتهم:

١ – والده:

كان أمرا طبيعا أن يلقى الطفل يحيى اهتماما كبيرا من والده، خاصة أنه كان ولده الوحيد، ولهذا اهتم بتنشئته نشأة دينية أساسها القرآن الكريم فقرأه عليه[٦].

٢–الأشرف بن الأعز المشهور بتاج العلى العلوى الحسينى:

من شيوخ ابن أبى طى الذين ترجم لهم ، فقال: «أنى قرأت على شيخى تاج العلى

---

(١) في هذه الرواية تأكيد لما ذكرناه في هامش (٣) في الصفحة السابقة عن تاريخ ولادة ابن أبي طي ما بين فصلي الشتاء والربيع .

(٢) اضطرم : أي اشتعل والتهب . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٥٦) .

(٣) إفحام : الفاحم من كل شئ الأسود بيّن الفحومة . (المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٩٦) .

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .

(٥) سنورد نصوص هذه التراجم ضمن كتابات ابن أبي طي الآخرى في فصل التراجم .

(٦) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ C . CAHEN : La Syrie De Nord , p . ٥٥ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛ نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، ص ٣ .

المذكور نهج البلاغة وكثيرا من شعره»[١].

٣ - خليل بن خرتكين الحلبي:

من الشيوخ الذين ذكرهم ابن أبى طى وترجم لهم، وكان من فقهاء الإمامية فى حلب قال عنه ابن أبى طى: «لقيته وقرأت عليه، و أذن لى فى الرواية عنه»[٢].

٤ - رشيد الدين المازندرانى:

درس ابن أبى طى عليه فقه الإمامية[٣] عندما قام بزيارة حلب، وقد ذكره ابن أبى طى وترجم له فقال: «وكان نزوله (فى حلب) على والدى، فأكرمه وزوجه بنت أخته، فربيت فى حجره، وغذانى من علمه، ويصرنى فى ديني، وكان إمام عصره وواحد دهره»[٤].

وبعد أن نال ابن أبى طى قسطا وافرا من الدراسة، امتهن عدة أعمال منها:

النجارة:

اشتهر والد ابن أبى طى - كما ذكرنا من قبل - باحترافه صناعة النجارة، ولهذا كان أمرا طبيعيا أن يحرص على تعليم ولده الوحيد صناعته، وقد ذكر ابن حجر العسقلانى أنه عمل مع والده فى صناعته لفترة حقق فيها تقدما، ولكن من الواضح أنها لم تستهويه ليصبح مثل

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٨ ، ص ٣٨٦ ؛ الصفدي : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ؛ أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٣٧٧ - ٣٣٧٨ .

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ٣٤٤ .

(٤) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

والده، فتركها وهو فى الثانية والعشرين من عمره فى عام ٥٩٧ هـ / ١ ـ ١٢٠٢ م[١].

تعليم الأطفال:

قام ابن أبى طى بعد أن ترك صناعة النجارة بتعليم الأطفال لفترة امتدت لأكثر من ثلاث سنوات إلى ما بعد عام ٦٠٠ هـ / ٣ ـ ١٢٠٤ م[٢]، ولم تتوافر لدينا أى معلومات حول ما كان يعلمه لهم، ومن الراجح أنه كان يلقنهم العلوم الدينية كحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف.

وبعد أن ترك ابن ابن أبى طى صناعة النجارة وتعليم الأطفال، برع فى ثلاثة أعمال، واشتهر بها كلها، فصار يعرف بالشيخ الأديب المؤرخ ابن أبى طى.

الشيخ ابن أبى طى:

لقبه بهذا القب المؤرخ ابن الفرات، وكان حريصا على ذكره قبل اسمه فى كل نص يورده عنه[٣]، وقد لاحظنا أن ابن الفرات كان يهتم عند ذكره أسماء موارده أن يذكر أيضا لقب كل منهم قبله، فعلى سبيل المثال: كان يلقب ابن خلكان «بقاضى القضاة»، وابن الجوزى «بالحافظ»[٤].

وقد لقب ابن أبى طى بالشيخ لاهتمامه بقراءة القرآن، وقد أكد ذلك «ابن حجر العسقلاني»، وأوضح القراءة التى كان يتبعها فى قراءته فقال: «قرأ القرآن، ثم جرد رواية «أبى عمر» ، وأكثر رواية «نافع[٥]»»[١].

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ٧ ، ١٠ كمثال .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١١ كمثال .

(٥) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ،مولي جعونة بن شعوب الشجعي المقرئ : أحد القراء

ولهذا أسس ابن أبي طي مسجدا بحلب عرف باسمه، وذكره «ابن شداد» ضمن قائمة مساجد حلب فقال: «مسجد إنشاء منتجب الدين يحيى بن أبي طي المعروف بابن النجار»[٢].

ولم يقتصر اهتمام ابن أبي طي بالقرآن الكريم عند قراءته له، فألف عدة مؤلفات في تفسيره، وأسباب نزوله، وسنورد بيان بها ضمن قائمة مؤلفاته.

الأديب ابن أبي طي:

كان ابن أبي طي أيضا أديبا يهتم بنظم الشعر، ومن الواضح انه لم يكن هاويا له، حيث تشير الدلائل إلى أنه احترف نظم الشعر، فذكر «ابن حجر العسقلاني «أنه مدح ملك حلب» الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين» (٥٨٣ ـ ٦١٣ هـ / ١١٨٧ ـ ١٢١٦ م) و «استقر في شعرائه»[٣]، كما ترجم له «ياقوت الحموي» في مؤلفه الخاص بالأدباء[٤]، وهذا دليل آخر على احترافه نظم الشعر.

وتوافرت لدينا بعض الأبيات التي كتبها ابن أبي طي، اهمها تلك التي نظمها في مديح أل البيت، وقد ذكر «السيد محسن الأمين» أنه كتب فيها كثيرا[٥]، ولدينا بعض منها أوردها «الكتبي»:

السبعة ، كان إمام أهل المدينة ، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة ، توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ ـ ٦٧٩ م بالمدينة (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩) .

(١) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٢) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٧ .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩.

(٥) المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

أنـــا فى إســـار غـــدائر ونـــواظرِ ... مـــن كـــل أبـــيضَ ذى قـــوامٍ نـــاضرِ
ريـــان مـــن مَـــرَح الـــصِّبا فكـــأنما ... رَوِيـــتْ معاطفـــه بغيـــثٍ بـــاكر
خمـــرى ريـــقٍ لؤلـــؤى لـــواحظٍ ... مـــسكى صـــدغ صـــارمى محـــاجر
لله ليلتنـــــا بكاظمـــــةٍ وقـــــد ... ســـمحتْ بـــه الأيـــامُ بعـــد تهـــاجر
وقـــد أضـــجعنا والنجـــومُ كأنهـــا ... فى الأفـــقِ لؤلـــؤُ ثغـــرهِ فى نـــاظري
والبـــدرُ ســـارٍ فى الـــسماء كأنـــه ... مـــن وجهـــه بـــادٍ بنـــور بـــاهر
و الـــشعريان كـــأنما أحـــداقها ... أحـــداقُ عـــاذلِ حبـــه المتكـــاسر
وســـهيلُ الوقّـــاد يخفـــقُ دائبـــاً ... خفقـــانَ أحـــشائى عليـــه وخـــاطري
والليـــلُ يرفـــلُ فى فـــضولِ غلائـــلٍ ... رقّـــتْ كـــشوقى أو كـــدمعى القـــاطر
والـــريحُ ينـــشرُ عَـــرْفها بنـــسيمها ... نـــشرى مـــديحَ أخـــى النبـــى الطـــاهر
خـــير الأنـــام ومـــن يـــذلّ مهابـــةً ... مـــن بأســـه قلـــبُ الهزيـــر الخـــادر
صـــنو النبـــى وصـــهره ووزيـــره ... وظهـــيره فى كـــل يـــومٍ تـــشاجر»[1]

كما كتب ابن أبى طى شعرا نظمه فى شكل رسالة إلى الملك الظاهر، عاتبه فيها على تعيينه حارسا لأحد البساتين يدعى «مالكا» كان قد رفض دخوله إلى هذا البستان، قال ابن أبى طى عن سبب كتابته هذه الرسالة: «خرجت يوما إلى بستان عمله الملك الظاهر صاحب حلب حسن عمارته، وغرس فيه أنواع الغراس، وكان اسم بوابه مالكاً فأردت دخوله فمنعنى فكتبت على بابه:

قـــل «لغيـــاث الـــدين»[2] يـــا مالكـــاً ... أضـــحى لأمـــلاك الـــورى مالكـــاً
بنيـــت فردوســـا فلـــم أنـــت قـــد ... صـــيرت فيهـــا خازنـــا مالكـــاً

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١.
(٢) كان الملك الظاهر يلقب بهذا اللقب. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦).

ثم مدح ابن أبى طى البستان فقال:

إن كنـــت ترغـــب فى النـــع ... يـــم وفى معـــاقرة الـــسرور
فعليـــك بالقـــصر الغيـــائى ... الأغـــر المـــستنير
قـــصر عـــلا عـــن أن يحـــيط ... بوصـــفه فكـــر الخبـــير
فـــاق الخورنـــق حـــسنه ... وعـــلا عـــلى حـــسن الـــسدير
فكأنـــه فى الـــروح فى الميـــدان ... فى الحـــسن البهـــير
كـــسرى لـــدى الغلـــمان فى ... الايـــوان فى الـــسطر الحريـــر»[1]

كما نظم ابن أبى طى أيضا شعرا فى هجاء رجل يدعى «أبو جعفر» فقال:

يـــا أبـــا جعفـــر تجـــاف قلـــيلاً ... كـــم تـــسامى بمفخـــر منحـــوسِ
أنـــت فى معـــشر كـــرام ولكـــن ... أنـــت فـــيهم قـــوائمُ الطـــاووس»[2]

ولم يكن ابن أبى طى أديبا شاعرا فقط، وإنما ظهر لنا من قائمة مؤلفاته ـ التى سنوردها فى الصفحات القادمة ـ أنه كانت له دراية واسعة بعلوم اللغة، فألف فى الأدب، والبلاغة، والنحو.

المؤرخ ابن أبى طى:

اهتم ابن أبى طى بالكتابة فى شتى مجالات العلوم ـ فكما ذكرنا من قبل ـ كان على دراية واسعه بالعلوم الدينية من فقه وتفسير، كما كتب فى عقائد الشيعة، وفى الأدب و البلاغة، واهتم ابن أبى طى بعلم التاريخ فألف فيه العديد من المؤلفات، وصارت بذلك الكتابة هى مورد دخله الأساسى[3].

(١) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .
(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .
(٣) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

مؤلفات ابن أبى طى:

ترك ابن أبى طى الحلبى حسب ما ظهر لنا من عناوين مؤلفاته مكتبة كبيرة، تضم العديد من المؤلفات فى شتى مجالات العلوم الإنسانية، وقد قسمنا مؤلفاته إلى عدة أقسام حسب ما ظهر لنا من عناوينها، وقد حاولنا إظهار مؤلفاته بأسلوب يعكس ثقافته.

مؤلفات ابن أبى طى التاريخية:

تتصدر كتابات ابن أبى طى التاريخية قائمة مؤلفاته، وقد غطى ابن أبى طى فى كتاباته تاريخ العديد من البلاد الإسلامية، وأفرد لها كتبا مستقلة، فألف عن الشام بصفة عامة، وعن حلب بصفة خاصة، كما كتب عن مصر، والمغرب، و المشرق الإسلامى.

فكتب ابن أبى طى فى تاريخ الشام كتابا سماه «سلك النظام فى تاريخ الشام»[١] ويقع فى أربع مجلدات[٢]. و حظيت حلب مسقط رأس ابن أبى طى باهتمام بالغ بين مؤلفاته التاريخية، و قد انعكس هذه الاهتمام على حجم مؤلفاته عنها، فكتب عنها تاريخا «كبيرا»[٣] وهو «معادن الذهب فى تاريخ حلب»[٤]، ثم قام بتكملة هذا

الكتاب، و«ذيله» بمجلد آخر[٥].

---

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ ؛ السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ ؛

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٠ ؛ السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

(٥) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ . الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ؛

كما خص ابن أبى طى «الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين» (٥٨٢ ـ ٦١٣ هـ / ١١٨٦ ـ ١٢١٦ م)، بمؤلف تضمن سيرته فى حكم حلب ، وكان ابن أبى طى قد عاصر فترة حكمه لها، فكتب فى سيرته كتابا بعنوان «**عقود الجواهر فى سيرة الملك الظاهر**»[١] و قد اختلط الأمر على بعض المؤرخين بالنسبة لعنوان هذا الكتاب، وذكروا أنه كان فى سيرة «الظاهر بيبرس»[٢]، وهذا ليس صوابا لأن ابن أبى طى كان قد توفى فى حدود عام ٦٣٠ هـ / ٣٢ ـ ١٢٣٣ م ، أى قبل ظهور الظاهر بيبرس على خريطة تاريخ مصر والشام بنحو ثلاثين سنة. كما ألف أيضا كتابا آخر عن ملوك حلب، وسماه «**سيرة ملوك حلب**»[٣].

واهتم أيضا ابن أبى طى بالكتابة عن مصر فألف عنها كتابا بعنوان: «**تاريخ مصر**»[٤]، كما ألف عن تاريخ المغرب كتابا سماه: «**مختار تاريخ المغرب**»[٥].

كذلك كتب ابن أبى طى عدة مؤلفات فى السير الذاتية، فألف عن سيرة النبى عليه الصلاة و السلام كتابا بعنوان: «**سيرة النبى وأصحابه**»، وهو يقع فى ثلاثة مجلدات[٦]، كما ألف أيضا عن سيرة السلطان صلاح الدين[٧] كتابا سماه: «**كنز الموحدين فى سيرة صلاح**

السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ . C. Cahen : La Syrie de nord , p . ٥٦

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ Cahen . :op. cit , p . ٥٦ .

(٢) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨.

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ . C. Cahen : op. cit , p٥٦ ,

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٠؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦؛ C. Cahen : op. cit , p . ٥٦ .

(٥) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ الباز العريني : الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦؛ C. Cahen : op. cit , p . ٥٦

(٦) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ، ص ٢٧١ .

(٧) مصطفي جواد : مقال في مجلة الكتاب ، م ٦ ، ج ٨ ، ص ٤٧٧ .

الدين»[١]، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه عن كتابه عن سيرة الملك الظاهر بن صلاح الدين.

كما كتب ابن أبى طى كتبا عامة فى التاريخ، شملت تاريخ العديد من الخلفاء والملوك، فمنها كتاب «حوادث الزمان» ، وهو مرتب على حروف المعجم[٢] ويقع فى خمس مجلدات[٣]، «معادن الذهب فى تاريخ الملوك و الخلفاء وذوى الرتب»

[٤]. وله أيضا كتاب فى التاريخ عرف «بتاريخ ابن أبى طي» وتاريخه مرتب على السنين[٥].

وقد اعتمد على كتاب «تاريخ ابن أبى طي» بعض المؤرخين اللاحقين به، ومنهم «الصفدي» ت ٧٦٤ هـ/ ٦٢ ـ ١٣٦٣ م، ونقل منه فى كتابه «نكت الهميان» ترجمة «الأشرف بن الأعز»[٦].

كما كان لابن أبى طى «مجموع» هكذا ذكره أبن العديم فقال: «قرأت بخط يحيى بن

---

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛ نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، ص ٣ ؛ فتحية النبراوي : العلاقات السياسية ، ص ٩٩ .

C. Cahen : op. cit, pp . ٥٥-٥٦ .

(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

C. Cahen : La Syrie de nord , p . ٥٦ .

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠.

(٤) C. Cahen : La Syrie de nord , p . ٥٥ , une chronique chiite au temps des croisades , p. ٢٦١ .

الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٥) أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٦) المرجع نفسه والصفحة .

ظافر النجار الحلبى فى مجموع له»، واعتمد ابن العديم عليه فى ذكر إحدى التراجم[١].

وكما اهتم ابن أبى طى بالكتابة عن حلب اهتم أيضا بالكتابة فى عقيدته الشيعية، فكتب عدة مؤلفات عن الشيعة، منها: «أسماء رواة الشيعة ومصنفيها[٢]»، و «أخبار شعراء الشيعة»[٣]، وهو مرتب على الحروف الهجائية[٤]، «المجالس الأربعين فى مناقب الأئمة الطاهرين»[٥]، و«مناقب الأئمة الاثنى عشر»[٦] و«كتاب فى حكمى كلام الأئمة الاثنى عشر»[٧]، و«ذخر البشر فى معرفة الأئمة الاثنى عشر»[٨]، و«فضائل الأئمة» ويقع فى أربعة مجلدات[٩]، و «الحاوى فى رجال الإمامية»[١٠]، وأيضا «تضوع اللطائم فى شرح خطبة فاطمة الزهراء»[١١]

وله كتاب طبقات الإمامية ، وقد اعتمد على كتابه من المؤرخين اللاحقين به ابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م فى كتابه الإصابة، وأخذ عنه ترجمته «يغوث الصحابي»، ونظرا لاعتماد ابن حجر على ابن أبى طى فى ترجمة أحد الصحابة، فهذا يوضح أن ابن أبى طى خصص فصلا فى هذا الكتاب لطبقة الصحابة[١٢].

---

(١) بغية الطلب ، ج ٩ ، ص ٤١٦٧ .

(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .
C. Cahen : La Syrie de nord , p . ٥٦ .

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٤) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٥) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .

(٦) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٧) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٨) المصدر نفسه و الصفحة .

(٩) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(١٠) المصدر نفسه و الصفحة .

(١١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

(١٢) محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ ؛ أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠) .

كما اهتم ابن أبى طى بالعلماء، وأفرد لهم كتابا بعنوان: «تاريخ العلماء»، ويقع فى مجلد واحد[١].

وقام ابن أبى طى بتهذيب كتاب «الاستيعاب فى أسماء الصحابة» لابن عبد البر

(أبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى ت ٤٦٣هـ / ٧٠ ـ ١٠٧١ م)[٢]، وسماه: «تهذيب الاستيعاب لابن عبد البر»[٣].

وأيضا ألف ابن أبى طى «رسائل صنفها عن العرب فى الجاهلية، و عن النبى صلى الله عليه وسلم»[٤]، و كتب «تراجم الأدباء و الشعراء»[٥].

كما نظم ابن أبى طى «ديوان المدائح»[٦]، ولعله كان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت.

مؤلفات ابن أبى طى فى علوم الدين:

اهتم ابن أبى طى بالكتابة فى علوم الدين، فألف بعض الكتب فى التفسير وفى القرآن الكريم، و الفقه.

ألف ابن أبى طى عدة مؤلفات عن القرآن الكريم، فكتب فى تفسيره ؛ كتابا فى «تفسير الفاتحة»، كما قام بتفسير القرآن الكريم فى كتابين. الأول: سماه: «ملح البرهان فى تفسير

---

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ مصطفى جواد : المقال السابق ، م ٦ ، ج ٨ ، ص ٤٧٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص ٥٢٤ ، ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٤) الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦.

(٥) المرجع نفسه والصفحة

(٦) محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٥.

القرآن» ، و الثاني: «قبسة العجلان فى تفسير القرآن»، كما كتب أيضا كتابا فى أسباب نزول القرآن وسماه: «البيان فى أسباب نزول القرآن»، وكتابا آخر فى: «غريب القرآن»[١].

أما بالنسبة لمؤلفاته فى الفقه، فقد كتب: «فقه أحكام النساء فى الفقه» و«مجموع مسائل فقه و أصول»[٢].

كما ألف أيضا كتابا عن شهر رمضان وهو: «نهج البيان فى عمل شهر رمضان». وأيضا «شرح كلام أم سلمة لعائشة رضى الله عنهما»[٣].

أما بالنسبة لمؤلفاته فى علوم اللغة العربية، فقد شملت كتاباته فى البلاغة و الأدب و النحو ومن ذلك:

«شرح نهج البلاغة»، ويقع فى ست مجلدات[٤]، «تحفة الطائفة الفقهائية فى شرح كلماتهم اللغوية» ، «الاقتصاد فى الفرق بين الظاء و الضاد»[٥]،«المنتخب فى شرح لامية العرب»[٦]، «المشكاة فى عويص مسائل النحاة» ، «مختصر فى اللغة» ، «شرح غريب ألفاظ المقامات» ، «كتاب التصحيف و الأحاجي»[٧].

ولابن أبى طى مؤلفات أخرى عامة:

وهى: «البستان فى مجلس الغلمان»[٨]، «خلاصة الخلاص فى آداب الخواص» ، ويقع فى

---

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .
(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠
(٣) المصدر نفسه والصفحة .
(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤.
(٥) الكتبي : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٧٠ .
(٦) الكتبي : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .
(٧) الكتبي : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

عشر مجلدات[١]، «شفاء الغليل فى ذم الصاحب و الخليل»، ويقع فى مجلد واحد، «التنبيهات فى تعبير المنامات»، «التنبيهات على صنع النبات»، «الكشف والتبيين فى محاسن التضمين» ، «العروس فى أدب السائس و المسوس»، «مودعة السفيه و موزعة النبيه»، «التحقيق فى أوصاف الرقيق» «نكت درة الغواص»[٢]، «الآل و العذب الزلال و بيان المعالم»[٣] «الروضات البهجات فى محاسن القينات»[٤]، «اللباب فى أسماء الأحباب» ،«نسيم الأرواح فى ما جاء فى التفاح» ،«الإيجاز فى الألغاز»، «الأضداد» ،«النكت الشاردة و النادرة و الفائدة»، «إفراد قراءة أبى عمرو ابن العلاء» ،«افراد مسائل»،«الجمع بين زوائد الصحاح وزوائد المجمل» ،«ذخر البشر فى معرفة القضاء و القدر»،«سر السرائر» ،«أخلاق الصوفية»[٥]،«اشتقاق أسماء البلدان»[٦].

وفاة ابن أبى طى:

لاحظنا من خلال بحثنا فى كثير من المصادر الإسلامية السنّية تجاهل معظمها تسجيل تاريخ وفاة يحيى ابن أبى طى فى حولياتهم، ولهذا أصبح تاريخ وفاته غير معروف بدقة، فذكر «ابن حجر العسقلاني» أن وفاته تأخرت لما بعد عام ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢ م[٧]، ولم نجد تحديدا لتاريخ وفاته إلا من خلال كتابات المؤرخ « الكتبي»، الذى أوضح انه توفى فى «حدود» عام ٦٣٠ هـ/ ٣٢ ـ ١٢٣٣ م[٨]، وهذا الرأى أخذت به كثير من المراجع

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .
(٢) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٣) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .
(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .
(٥) المصدر نفسه والصفحة .
(٦) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٧١؛ الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦.
(٧) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .
(٨) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .

الحديثة[١]، وبعضها رجحت وفاته ما بين عامي ٦٢٥ هـ ٦٣٠ هـ[٢] وهناك رأى ثالث رجح أنه غير معروف تاريخ وفاته[٣].

وفي رأينا أن وفاة ابن أبي طي تأخرت إلى ما بعد عام ٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ ـ ١٢٥٣ م ودليلنا على ذلك هو ابن أبي طي نفسه، حيث كان قد أرخ وفاة أحد تراجمه في عام ٦٥٠ هـ، وهذا يعني أنه كان على قيد الحياة حتى ذلك الوقت.

وكان «ابن حجر العسقلاني» قد ذكر في ترجمة «ورام بن أبي فراس بن ورام أبو الحسين»: «كان في أول أمره من الأجناد، يلبس القباء و المنطقة ويتقلد بالسيف، ثم ترك ذلك وانقطع إلى العبادة. ذكره ابن أبي طي في الإمامية، وبالغ في إطرائه، وذكر له كرامات. قال: مات سنة خمسين وستمائة»[٤].

منهج ابن أبي طي في الكتابة التاريخية

نهدف من هذه الدراسة التحليلية لكتابات ابن أبي طي إلقاء المزيد من الضوء حول منهجه في الكتابة التاريخية، لأنه يعد من أبرز أعلام المؤرخين الشيعة، وترك مكتبة هائلة تدل على ثقافته الواسعة في شتى مجالات العلوم.

وقد تمكننا من خلال جمع العديد من نصوص كتاباته أن نقف على الكثير من السمات

---

(١) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ؛ أغابزرك الطهراني : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ؛ مصطفي جواد : مقال في مجلة الكتاب ، م ٦ ، ج ٨ ، ص ٤٧٧ ؛ السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛ فتحية النبراوي : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٢) الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٣) C . CAHEN : La Syrie De Nord , p . ٥٥

(٤) المصدر السابق ، ج ٦ ، (الطبعة الأولي ، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٣ م) ص٢١٨ ؛ (الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦ م) ص٢٨٩ .

العامة الموضحة لمنهجه فى الكتابة، خاصة وان هذه النصوص اتسمت بالتنوع المكانى، فغطت الكثير من الأحداث من المشرق الإسلامى حتى المغرب الإسلامى، ومن بلاد الشام شمالا إلى مصر واليمن جنوبا. كما اتسمت أيضا كتاباته بالتنوع الموضوعى، فشملت فى كثير من الأحيان تاريخ أكثر من دولة فى المنطقة الواحدة.

وسوف نوضح ما توصلنا إليه من منهج ابن أبى طى من خلال دراسة:

- مصادر كتابات ابن أبى طى.
- ملامح أسلوب ابن أبى طى فى جمع مادة كتاباته.
- النقد التاريخى عند ابن أبى طى

مصادر كتابات ابن أبى طى:

تمثل دراسة المصادر التى استقى منها ابن أبى طى مادة كتاباته أهمية كبيرة، وتفوق أهميتها دراسة مصادر غيره من المؤرخين، لأنها فضلا عن أهميتها فى كشف جانب مهم من منهجه التاريخى، فهى تفيدنا أيضا فى معرفة الكثير عن حياة ابن أبى طى - والتى لا نعرف عنها إلا القليل - فظهر من خلال علاقاته المتعددة فى حلب - والتى كشفتها مصادره - ما يشير إلى مكانته بها، كما ساهمت أيضا دراسة مصادر ابن أبى طى فى معرفة جانب كبير عن علاقات والده الذى يعد من أهم مصادره.

علاقات ابن أبى طى:

ظهر من خلال كتابات ابن أبى طى انه كان يتمتع بمكانة كبيرة فى حلب، ولهذا سنحت له فرصة لقاء السلطان الملك الناصر[1]، الذى أخبره ببعض المعلومات المهمة عن

(١) ناقشنا هذا المصدر بمزيد من التفصيل في فصل العلاقة بين الدولة الأتابكية والأسرة الأيوبية .

نسب «نجم الدين أيوب»[١]، كما تأكد لنا أيضا هذه المكانة من خلال إطلاعه على بعض الوثائق والخطوط المهمة التى انفرد بكتاباتها[٢].

وكان لابن أبى طى علاقات مع الموظفين الإداريين فى حلب، وظهر ذلك من خلال تسجيله لأحد النصوص المهمة عن دخل حلب، ووفر له ذلك علاقته مع مستوفى حلب كريم الدولة بن شرارة النصرانى[٣].

هذا بالإضافة لعلاقاته مع الفقهاء فى حلب، وكانوا مصدرا مهما له فى ذكر بعض الأحداث والتراجم ومنهم: «الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي»[٤]، ومن شيوخه من فقهاء الشيعة الإمامية: «خليل بن خرتكين الحلبي»[٥]، و «محمد بن على بن شهراشوب المازندراني»[٦].

وكان لابن أبى طى أيضا صلة بالقضاة من خارج حلب، وذكر منهم «قاضى اليمن جمال الدين»[٧]، ولا نعلم إن كان التقى به فى حلب أم فى خارجها. هذا بالنسبة لما ظهر لنا عن علاقات ابن أبى طى، أما بالنسبة لمصادره فقد لاحظنا أنه اعتمد فى بناء مادة كتاباته على العديد من المصادر وهى:

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٥ .

(٢) سنورد هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحة القادمة .

(٣) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٧ .

(٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٧ .

(٥) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ٧ ، ص ٣٣٧٧ ـ ٣٣٧٨ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١١ ، ص ١٨٤ ؛ سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٢٢٠ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(٧) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦٧ .

openkandil.com

أولا – الآثار:

ويمثلها قيام ابن أبى طى بزيارة مشهد الدكة ـ وهو من المشاهد الشيعية المقدسة فى حلب ـ وتسجيله الكتابة التى على باب هذا المشهد، ووصف شكل الباب ونوع الخط المكتوب عليه، فقال: «ولحقت «باب» هذا المشهد، وهو باب صغير من حجر أسود عليه قنطرة مكتوب عليها بخط أهل الكوفة كتابة عريضة: «عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ وقربة إليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان»[1].

كما أشار ابن أبى طى أيضا إلى بقاء «كنيسة الحدادين» التى حولها القاضى «ابن الخشاب» فى عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م إلى مسجد حتى قرب وفاته، فقال: «وأدركته إلى اخر زماني»[2].

ثانيا – الوثائق والخطوط:

صرح ابن أبى طى باطلاعه على النسخة الأصلية لاثنين من الوثائق المهمة، وحرص على إثبات النصوص الواردة فيها، ومن ذلك وصف الهدية التى أرسلها الملك الناصر صلاح الدين إلى نور الدين محمود مع «الموفق بن القيسراني» ـ رسول نور الدين محمود ـ فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م. فقال: «: ووقفت على برنامج شرحها بخط الموفق بن القيسرانى وهى... »[3]، كما وقف أيضا ابن أبى طى على نسخة عقد الصلح بين صلاح الدين والملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود أمير حلب فى عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م، فقال: «فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة فرضى بذلك، وحلف على نسخة رأيتها

(١) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٥٠؛ ابن الشحنة : نزهة النواظر ، ص ٧٦ ، الدر المنتخب ، ص ٨٦ ؛ الغزي : المرجع السابق ، ج ٢، ص ٢١٠ ؛ الأسدي : أحياء حلب ، ص ٣٥١.

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٦٧ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٨ .

وعليها خطه»[١].

ثالثا – المشافهة:

من أهم الروايات التى ميزت كتابات ابن أبى طى تلك التى أخذها عن طريق المشافهة والسماع، ومن أبرز رواته الذين لعبوا دورا مهما فى إضافة المزيد من التفاصيل المهمة فى كثير من كتاباته، ولهذا صار له شكل منفرد بين أقرانه من المؤرخين:

١ – والده أبو طى حميد النجار:

حيث كان بفضل مكانته الدينية الكبيرة فى حلب قد صارت له علاقات واسعة مع كثير من الشخصيات المهمة المعاصرة له فى القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى، ولهذا اعتمد عليه ابن أبى طى فى نصف الروايات التى ذكرها عن طريق المشافهة، وقد تعددت المصادر التى اعتمد عليها والد ابن أبى طى فى رواياته فمنها:

أ – المشاهدة والمشاركة:

من أهم الروايات التى انفرد بها ابن أبى طى تلك التى كان والده شاهد عيان ومشاركا لكثير من أحداثها، ومن ذلك:

شارك والده فى هدم قلعة الشريف فى حلب فى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م، وكان نجم الدين إيلغازى، ملك حلب فى ذلك الوقت، قد قرر هدمها - حسب رواية ابن أبى طى - حتى لا يتخذها الإسماعيلية فى حلب مركزا لهم، وهذا مما دفع الشيعة الإمامية للمشاركة فى هدمها، قال ابن أبى طى: «وحدثنى أبى قال: أنا فى جملة الذين هدموها»[٢].

كما شاهد والد ابن أبى طى كنيسة الحدادين بحلب بعد أن حولت فى عام ٥١٥ هـ /

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٣٩ .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٤٠ .

١١٢١ م إلى مسجد، فقال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: أذكر وقد أخذنى والدى إلى هذه الكنيسة، وقد عمرت مسجدا، وفيها رجل من أهل حلب يقال له «يوسف المصري» وكان إماما فى علم الدين وكان يقرئ القرآن فيها، فكنت أقرأ عليه فإذا فرغنا من القرآن ذرنا فى جوانب الكنيسة، فنكشط الصور ونقلع من حيطانها أشيا من الرخام والفسيفسا»[١].

وفى عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م تعرضت حلب لحصار شديد من قبل مملكة بيت المقدس الصليبية، وراسل أهلها أمير الموصل «آق سنقر البرسقي» يستغيثون به، فأمدهم قبل وصوله إليهم بمعونة غذائية وأمر أن تفرق بين الناس، وكان لوالد ابن أبى طى نصيبا منها ذكره ابن أبى طى وحدد مقدار ما ناله منها، كما عقد مقارنة مهمة بين وزن تلك المعونة فى ذلك الوقت، وما تساويه بعد قرن من الزمان تقريبا فى زمن ابن أبى طى، فقال: «حدثنى أبى قال: «أصابنى منها «ثماني» مكاكى بالظاهرى، يكون تقديره بالكيل الظاهرى الآن «مكوكين ونصف»[٢].

كما شاهد والد ابن أبى طى الأسرى الصليبيون الذين أسرهم الأمير «سوار» ـ نائب عماد الدين زنكى فى حلب ـ بعد عودته من غارته على بلدتى «اللاذقية وجبلة» فى رجب عام ٥٣٠ هـ/ ١١٣٦ م، قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: «وصلت هذه الغنيمة إلى حلب فى أواخر شعبان، وكنا على الأسوار..... فشاهدنا الغنيمة وقد سدت الفضا»[٣].

وكان والد ابن أبى طى شاهدا لبعض الظواهر الطبيعية التى وقعت فى حلب، وكانت مصدرا مهما بعد ذلك لكتابات ابن أبى طى عنها، ومن ذلك تفاصيل الشتاء القارص الذى تعرضت له حلب فى عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م، وأمده والده بوصف لآثره على كافة جوانب الحياة فى المجتمع الحلبى، قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال:» كان بحلب فى هذه

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦٧.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٨٨.

(٣) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٧٨.

السنة أمطار كثيرة وجمود، حتى ارتفع «الجرن الأصفر» الذى قدام فوارة الجامع عن الأرض لشدة الجمود، ولقد «أخذنا» عصا أعمى كان فى الجامع وأدخلناها تحته، فلم يردها شئ.....»[١].

كما أمده والده أيضا بوصف لأثار الزلزال الشديد الذى ضرب حلب فى شوال عام ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠ م، وما نتج عنه من القتلى فقال: «وحدثنى أبى قال: ضجر الناس من كثرة الغسيل، والتكفين، والحفر، وكان قد»..... «[٢] وهذه عظيمة، يوما، والناس ينقلون موتاهم إليها، «فوقفت عليها مقدار ساعتين»، فكان عدد من ألقى فيها فى تلك المدة التى عاينتها، مقدار مائة وستين إنسانا، وكان جماعة يحملون الموتى فى الأكياس ويلقونهم.....»[٣].

كما شارك والد ابن أبى طى فى كثير من الأحداث المهمة التى تتعلق بعلاقة الملك نور الدين محمود بن زنكى (٥٤١ ـ ٥٦٩ هـ/ ١١٤٦ ـ ١١٧٤ م) مع الشيعة فى حلب

وكان له دائما دورا بارزا باعتباره كان زعيم الشيعة الإمامية فى حلب، ولهذا اعتمد ابن أبى طى على رواياته، وأمدنا من خلال ذلك بكثير من التفاصيل التى انفرد بها.

فكان والد ابن أبى طى قد سرى عليه قرارات نور الدين محمود فى عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م الخاصة بنفى كبار الشيعة فى حلب، فقال ابن أبى طى: «فأمر بنفيهم وهم:..... ووالدى أبو طى النجار»[٤].

وفى عام ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م تعرض نور الدين محمود فى حلب لمرض شديد كاد أن يودى بحياته، فأوصى بولاية العهد من بعده لأخيه الأصغر «نصرة الدين أمير أميران»،

---

(١) المصدر نفسه، م ٢، ج ٤، ورقة ٦١.

(٢) وردت هذه النقاط في نص ابن الفرات. (المصدر السابق، ج ٤، ق ١، ص ٩٥ (المطبوع)).

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ق ١، ص ٩٥.

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ورقة ٩٧.

فقام نصرة الدين بحصار قلعة حلب، واستغل الشيعة فى حلب بقيادة والد ابن أبى طى ذلك، وساندوا نصرة الدين فى الحصار حتى يسمح لهم فى عهده بممارسة شعائرهم، وقد ظهر دور والد ابن أبى طى فى تلك الأحداث، وأورد ابن الفرات تفاصيلها فقال: «وراسلوا الأمير نصرة الدين أمير أميران..... وأحضروه إلى حلب..... وأجمع إليه الحلبيون وحلفوا له، وولوا استيفا اليمين وتحليف من يحلف «أبا طى حميد بن ظافر بن على الغسانى الحلبى المعروف بالنجار» وألبس نصرة الدين القبا، واءمن الجماعة باتباع أمره، وكان رأس الشيعة بحلب،..... واحضر الأمير نصرة الدين لأبى على بن العجمى ليحلف، فامتنع، فضربه حميد النجار بقدوم كان معه، فلما كان يوم الجمعة منع الحلبيون خطيب أهل السنة من الخطابة، وأحضروا الشيخ الخطيب «أبا عبد الله أبى الفتح بن أبى أسامة».... وصلى على الإمام المنتظر، خلف «حميد النجار، رأس الشيعة »[1].

وبعد وفاة نور الدين محمود سمح ولده «الملك الصالح إسماعيل» فى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٥ م للشيعة بممارسة شعائرهم الدينية، وشارك أيضا والد ابن أبى طى فى تلك الأحداث، فقال ابن أبى طى: فأذن المؤذنون فى منارة الجامع وغيره بحّى على خير العمل، وصلى «أبي» فى «الشرقية» مسبّلا، وصلى وجوه الحلبيين خلفه»[2].

ب – المشافهة:

استمد والد ابن أبى طى كثيرا من رواياته عن طريق المشافهة، وأفصح فى بعضها عن مصادره - ومن خلالها تتضح علاقاته الواسعة فى معظم بلاد الشام - والبعض الآخر لم يذكر. وظهر من خلال بعض الأحداث التى ذكر فيها مصادره انه كان يتبع منهج أهل الحديث فى الاسناد[3]، واستعمل الاسناد بطرق مختلفة عبر بها عن طريقة وصول الخبر

(١) المصدر نفسه، م ٣، ج ٥، ورقة ١٠٩ - ١١٠.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦١٠.

(٣) د. محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الإنهيار (٤)، الفكر التاريخي، ص ١٢٣ (تحت الطبع).

إليه، وهى كما يأتى[١]:

الإسناد الجمعى:

استعمله والد ابن أبى طى ليدلل على اتفاق الرواة على الخبر[٢]، وحرص خلال عرضه أسماء رواته على أن يوضح صلتهم بمن يروى عنه الخبر، فعند روايته خبر ضيق نجم الدين أيوب وتشاؤمه من ولادة ابنه صلاح الدين فى نفس الليلة التى اضطر فيها إلى مغادرة قلعة تكريت فى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ ـ ١١٣٨ م قال ابن أبى طى: «وحدثنى أبى رحمه الله قال: حدثنى «سعد الدولة أبو الميامن المؤلي»، وكان أحد أصحاب نجم الدين أيوب قال: وحدثنى أيضا بهذه الحكاية مجد الدين بن داية الملك الصالح، قال: حدثنى حسام الدين سنقر غلام الأمير«نجم الدين أبى طالب، وكان سنقر هذا يخدم مع الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي»[٣].

ومن ذلك ما أورده أيضا عن العلاقة بين الوزير الفاطمى شاور ونور الدين محمود فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م، قال ابن أبى طى: «وحدثنى أبى رحمه الله قال: حدثنى غير واحد»[٤].

المسند الموصول:

اتبع والد ابن أبى طى فى بعض رواياته المسند الموصول[٥]، فقال عند توضيحه موقف الملك الظاهر بن صلاح الدين بعد أن عزله والده من حلب فى عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، وأسندها إلى أخيه «الملك العادل»، قال ابن أبى طى: «حدثني» أبى «عن» مجد الدين ابن

(١) صفاء حافظ عبد الفتاح : البلاذري ومنهجه ، ص ١٠٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠٧ .
(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٨ .
(٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق٢ ، ص ٤٢٨ .
(٥) صفاء حافظ عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

الخشاب «قال: حدثنى الملك الظاهر»[١].

المسند المقطوع:

استعمل والد ابن أبى طى المسند المقطوع[٢]، وأورد أيضا درجة قرابته ممن يروى عنه الخبر، وذكر ذلك عند ذكره موقف صلاح الدين من نور الدين محمود بعد أن ساءت العلاقة بينهما، قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى عن «ابن قاضى الدهليز»: وكان من خواص الملك الناصر»[٣].

الإسناد إلى مجاهيل:

واسند أيضا والد ابن أبى طى روايته إلى مجاهيل[٤]، وحرص أيضا على ذكر صلتهم بمن يروى عنه الخبر، فعند تناوله موقف نور الدين محمود من تولى صلاح الدين الوزارة فى مصر فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م، قال ابن أبى طى: «و حدثنى أبى رحمه الله تعالى، قال: حدثنى جماعة من أصحاب الملك العادل نور الدين محمود بن الملك المنصور عماد الدين زنكى صاحب الشام»[٥]، ومن ذلك قوله عن أسباب انتقال الملك العادل من مصر إلى حلب فى عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، قال ابن أبى طى: «وحدثنى أبى، قال: حدثنى جماعة قالوا»[٦]، ومن ذلك أيضا عند ذكره إحدى الرؤى التى تنبئ بانتصار السلطان صلاح الدين فى موقعة حطين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م، قال ابن أبى طى: «حدّثنى والدى حميد

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .
(٢) صفاء حافظ عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤١ .
(٤) صفاء حافظ عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦٧ .
(٦) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤٠ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٦٦ (المطبوع) .

النجار عن أحد التجار»[١].

الإسناد إلى مجاهيل معلوم بلادهم:

كما اسند والد ابن أبى طى رواياته إلى مجاهيل ولكن بلادهم معلومة[٢]، فعند ذكره تفاصيل تدمير الحملة الصليبية الأولى مكتبة مدينة طرابلس فى أحداث عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ ـ ١١١٠ م، قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: حدثنى شيخ من أهل طرابلس»[٣]، وأيضا عند تناوله أخبار الغزو البيزنطى لمدينة «نيقية» فى عام

٥٣١ هـ / ١١٣٦ ـ ١١٣٧ م، قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: حدثنى رجل من أهل نيقية وصل إلى حلب»[٤].

وهناك أيضا بعض الروايات التى أخذها والد ابن أبى طى عن أبيه، وهى تتعلق بأحداث العقد الأول من القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى، فأشار إلى ذلك ابن أبى طى عند وصول ابن تومرت إلى حلب فى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ ـ ١١١٠ م، فقال: «فقال»: حدثنى (أبى)[٥] «ظافر» قال: أعرف وقد غلقت أبواب المدينة بحلب وأبواب الجامع»[٦]، كما اعتمد والد ابن أبى طى على أبيه فى وصف أحوال المجتمع الحلبى فى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ ـ ١١١٦ م، وموقف الشيعة الإمامية فى حلب من بناء أول خانقاه بها فى

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٧٧ (طبعة دار الكتب) ، ج ٢ ، ص ٨٥ (طبعة دار الجيل) .

(٢) صفاء حافظ عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٣٨.

(٤) المصدر نفسه ، م ٢ ، ج ٣ ، ورقة ٩٣ .

(٥) الكلمة غير واضحة في مخطوط ابن الفرات ، ويبدو لنا أنه قال « أبي » . (المصدر نفسه ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٤٤) .

(٦) المصدر نفسه والورقة .

ذلك العام، قال ابن أبى طى: «حدثنى أبى بذلك عن أبيه بهذه الحكاية»[١].

أما بالنسبة للأحداث التى لم يفصح فيها والد ابن أبى طى عن مصادره فهى أيضا كثيرة، وتعلق بعضها بتاريخ حلب، ومن ذلك ذكره تفاصيل بناء المدرسة الزجاجية فى عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م[٢]، وظهور مشهد الإمام على بن أبى طالب فى عام ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م[٣]، وتفاصيل قيام عماد الدين زنكى بعمارة ميدان قنسرين فى عام ٥٣١ هـ/ ١١٣٦ - ١١٣٧ م[٤].

وتعلق البعض الآخر من الروايات التى أوردها والد ابن أبى طى، بذكر نسب نجم الدين أيوب[٥]، وبتوضيح العلاقة بين نور الدين محمود وصلاح الدين[٦]، وأخيرا بالترجمة لبعض فقهاء الشيعة الإمامية[٧].

ومن أهم رواة ابن أبى طى أيضا:

٢ - شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار:

من الكتابات التى تميز بها ابن أبى طى كتاباته عن تاريخ الخلافة الفاطمية فى مصر، فى الفترة التى أرسل فيها الملك العادل نور الدين محمود (٥٤١ - ٥٦٩ هـ/ ١١٤٦ - ١١٧٤ م) سلطان الدولة الأتابكية فى الشام، ثلاث حملات إلى مصر فى أعوام ٥٥٥ هـ/ ١١٦٤

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ٩١.

(٢) المصدر نفسه، م ١، ج ٢، ورقة ٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ، ورقة ١١٣.

(٤) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٨٩.

(٥) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٢٥.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٤٤؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

م، و ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م، و ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩ م، وأيضا أحداث الحملات الصليبية الثلاث التى غزت مصر فى تلك الأعوام.

وكان ابن أبى طى قد تعرف على الأمير «شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار» ، وهو ابن أحد أهم الأمراء المصريين الذين قاموا بدور رئيسى فى تلك الأحداث، ومن الراجح أنه التقى به فى حلب، حيث أشار «عز الدين بن شداد» إلى اشتراك فخر الدين موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار فى أعمال العمارة فى حلب فى عهد الملك الظاهر بن صلاح الدين[١]، وقد صرح ابن أبى طى باعتماده عليه فى روايتين:

حدثه فى المرة الأولى عن الدور الذى قام به والده شمس الخلافة محمد بن مختار مع «الكامل بن الوزير الفاطمى شاور» من أجل إقناعه بضرورة الاستعانة بقوات نور الدين محمود بعد تدهور الأحوال فى مصر بسبب الحملة الصليبية الثالثة التى غزتها فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م، قال ابن أبى طى: «ولما اتصل بشاور ما جرى على أهل بلبيس من القتل والأسر.... طلب الإذن على العاضد ؛ فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال: اعلم أن البلاد قد ملكت علينا، ولم يبق إلا أن تكتب إلى نور الدين وتشرح له ما جرى وتطلب نصرته ومعونته.... ثم قال ابن أبى طى: وحدثنى «شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار» قال: إنما كتب هذا الكتاب برأى أبى شمس

الخلافة، لأنه لما رجع من عند مرّى، لعنه الله، بعد أخذ بلبيس اجتمع بالكامل بن شاور وقال له:..... أن أباك قد وطن نفسه على المصابرة وآخر أمره يسلم البلاد إلى الفرنج ولا يكاتب نور الدين، وهذا عين الفساد ؛ فأصعد أنت إلى العاضد وألزمه أن يكتب إلى نور الدين، فليس لهذا الأمر غيره. فقصده الكامل وكتب الكتاب»[٢].

وفى المرة الثانية أخبر الأمير شمس الخلافة موسى ابن أبى طى بعض المعلومات التى

(١) الأعلاق الخطيرة، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٤٣ .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق، ج ١ ، ق ٢ ، ص٤٣١ ـ ٤٣٢ .

تشير إلى التدهور الذى صارت عليه المكتبة الفاطمية بعد سقوط الخلافة فى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وذلك أثناء حديثه عن شراء القاضى الفاضل بعض الكتب منها، فقال: «وحصل للقاضى الفاضل قدر منها كبير حيث شغف بحبها ؛ وذلك أنه دخل إليها واعتبرها، فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه فى بركة كانت هناك، فلما فرغ الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التى ألقاها فى البركة على إنها مخرومات، ثم جمعها بعد ذلك، ومنها حصل ما حصل من الكتب، كذا أخبرنى..... الأمير شمس الخلافة موسى بن محمد»[١].

وفى الحقيقة إن كان ابن أبى طى لم يصرح باعتماده على روايات الأمير «شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار» سوى فى هاتين الروايتين، إلا إننا نرجح أنه كان مصدرا مهما ورئيسا لابن أبى طى فى كتاباته الأخرى عن حملات نور الدين محمود والحملات الصليبية على مصر - التى أشرنا إليها من قبل - حيث انفرد ابن أبى طى طوال هذه الحملات، بتوضيح الدور البارز الذى قام به شمس الخلافة محمد بن مختار، وبصفة خاصة أثناء الحملة الصليبية الثالثة على مصر فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م، حيث لم تخل فقرة - تقريبا - دون ذكر لدور الأمير شمس الخلافة فيها، وذلك منذ وصول الحملة إلى مصر، وحتى مفاوضات الصلح.

٣- الشريف الإدريسى:

اهتم ابن أبى طى أيضا فى كتاباته عن الخلافة الفاطمية بسماع رواية أحد أهم الأشخاص الذين كانوا معاصرين لأحداث حملة نور الدين محمود الثانية على مصر فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م وهو الشريف الإدريسى، ومن الواضح أنه تحدث معه فى حلب أيضا لأن ابن أبى طى ذكر عنه أنه «نزيل حلب»[٢]، وحدثه بأهم تفاصيل العلاقة بين أسد

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٦ .

الدين شيركوه وولاة الأمور فى الإسكندرية، وأوضح أن هذه العلاقة بدأت منذ وصول حملة أسد الدين شيركوه إلى الصعيد، ولعب الشريف الإدريسى دورا هاما فى

السفارة بين ابن مصال والى الإسكندرية، وشيركوه فى الصعيد، قال ابن أبى طى: «حدثنى الشريف الإدريسى، نزيل حلب، قال: كنت بالإسكندرية يومئذ فكتب معي» ابن مصال «كتابا إلى أسد الدين وقال لى: قل له أنى أخبرك أن السلاح واصل. وكان أنفذ لأسد الدين خزانة من السلاح، قال: فسبقتها بيومين، وحضرت بين يدى أسد الدين وأعطيته الكتب وشافهته بمقالة ابن مصال فى معنى السلاح والآلات، ثم وصلت الخزانة بعد يومين مع ابن أخت الأمير ابن عوف»[1].

كما حدث الشريف الإدريسى ابن أبى طى بتفاصيل أخرى مهمة فى آخر أحداث الحملة الصليبية فى مصر، توضح العلاقة بين صلاح الدين والملك عمورى الأول، حيث كان صلاح الدين قد طلب من الملك عمورى أن يسمح له بنقل بعض الضعفاء والمرضى على مراكبهم، فوافق الملك، وكان «الشريف الإدريسي» من ضمن الذين سافروا فى هذه المراكب، قال ابن أبى طى: «وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مراكب يحمل فيها الضعفاء من أصحابه فأنفذ له عدة مراكب . قال «الإدريسي»: كنت فى جملة من خرج فى المراكب، فلما وصلنا إلى ميناء عكا أخذنا واعتقلنا فى معصرة القصب إلى أن وصل الملك مُرّى فأطلقنا، فخرجنا إلى دمشق»[2].

وهناك أيضا عدد من رواة ابن أبى طى صرح باعتماده عليهم، ولكنه لم يرجع إليهم سوى فى رواية واحدة، وظهر من خلال تلك الروايات تأثره أيضا مثل والده بمنهج أهل الحديث فى الإسناد، واستعمله بصور مختلفة عبر بها عن طريقة وصول الخبر إليه، ومن ذلك:

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

١ – المسند المقطوع:

وفيه حدد ابن أبى طى مصدرا واحدا تلقى عنه الخبر، وقد استخدمه فى كثير من رواياته التى ذكرناها من قبل، والتى أخذها عن والده، وعن شمس الخلافة موسى، والشريف الإدريسى، ومن خلاله كشف عن جانب كبير من علاقاته - التى أشرنا إليها فى بداية عرضنا لهذا الموضوع - كما استعمله أيضا عند ذكر نتائج بحثه عن نسب نجم الدين أيوب، فقال: «أن جميع آل أيوب لا يعرفون جدا فوق شاذى، وكذلك أخبرنى السلطان الملك الناصر رحمه الله»[١]، وأيضا فى تحديد مكان مولد نجم الدين أيوب، فقال: «وكان مولد نجم الدين أيوب ببلد شبختان، كذا حكاه «مؤيد الدين ابن منقذ »[٢]،

وفى ذكره أسباب انتقال الملك العادل من مصر إلى أخيه السلطان صلاح الدين فى الشام، فقال: «كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه فى جميع أموره ويتَيمَّن بمشورته، ولا يُعْلَم بأنه أشار على السلطان بأمر فخالفه. حدثنى قاضى اليمن «جمال الدين» قال: كان السلطان يجمع الأمراء للمشورة، فإن كان العادل حاضرا سمع من رأيه، وإن لم يكن حاضرا لم يقطع أمرا فى المهمات حتى يكاتبه بجلية الأحوال ثم يسمع رأيه فيها»[٣].

كما استخدمه ابن أبى طى فى عرض إحدى الرؤى التى كانت تبشر بانتصار السلطان صلاح الدين فى موقعة حطين فى عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م، ومن خلال ذلك اتضح أنه كان يستمد أخباره أيضا من النساء فى حلب فقال: «وحدثتنى «ظئرلي»، من نساء الحلبيين، كانت تداخل أخت السلطان الملك الناصر، قالت: كانت والدة السلطان تخبر أنها أتيَتْ فى نومها وهى حامل بالسلطان، فقيل لها: إن فى بطنك سيفا من سيوف الله تعالي»[٤]، وأيضا فى

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ .

ذكره بيان بدخل حلب فى عام ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ ـ ١٢١٣ م، فقال: « حدثنى «كريم الدولة بن شرارة النصراني»، وكان مستوفى دار حلب يومئذ، أنه عمل ارتفاع حلب سنة تسع وستمائة فى الأيام الظاهرية، دون البلاد الخارجة عنها، والضياع، والأعمال....»[١]، وأثناء ترجمته عن شيخه الأشرف ابن الأعز المعروف بتاج العلى[٢].

٢ ـ الإسناد إلى مجاهيل ومن بينهم معلوم :

كان ابن أبى طى فى بعض مصادره يذكر اكثر من واحد أبلغه بالخبر، ويشير إلى بعضهم بقوله حدثنى جماعة ويكتفى بذكر أسم أو اكثر منهم[٣]، ومن ذلك قوله: «حدثنى جماعة عن شمس الدين على بن الداية، أخى مجد الدين، وحدثنى الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي»[٤]، وأيضا قوله: «وحدثنى جماعة من الحلبيين منهم: «الركن بن جهبل العمل»[٥]، وقوله: «كذا أخبرنى جماعة من

المصريين منهم الأمير شمس الخلافة موسى ابن محمد»[٦]، وأيضا قوله: «حدثنى رشيد الدين المازندرانى، حدثنى جماعة من ممن لقيت»[٧].

٣ – الإسناد إلى مجاهيل:

أخفى ابن أبى طى فى بعض رواياته مصادره، واكتفى بقول: «حدثنى جماعة»[٨]، أو

(١) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٧ .
(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٨ ، ص ٣٨٦ ؛ الصفدي : نكت الهميان ، ص ١٠٠ .
(٣) صفاء حافظ عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
(٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٧ .
(٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٦ ؛ المقريزي : المقفى ، ج ٦ ، ص ٣٤٣ .
(٦) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٧ .
(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٢٢٠ ؛ تاريخ الإسلام ، ج ١١ ، ص ١٨٤ .
(٨) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٥ .

«حدثني بعض الأمراء»[١]، «وحدثني من شاهد هذه الهدية»[٢]، ومن ذلك أيضا قوله: «وحكي»[٣]، أو: «وسمع»[٤].

رابعا ـ المؤلفات السابقة:

ومن المصادر التي اعتمد عليها ابن أبي طي مؤلفات من سبقه من المؤرخين، وهي تأتي في المرتبة الرابعة بالنسبة لأهمية مصادره، لأنه لم يفصح عنها إلا قليلا، ومنها:

١ - مؤلفات العماد الكاتب الأصفهاني:

كان العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) معاصرا لتاريخ العديد الدول، ومنها: دولة السلاجقة، والخلافة الفاطمية في مصر في العقد الأخير من تاريخها، كما كان معاصرا للدولة الأتابكية في الشام في آخر عهد نور الدين محمود، وعاصر أيضا الدولة الأيوبية في مصر والشام في أهم سنوات نشأتها وازدهارها، ولهذا كانت مؤلفاته من المصادر المهمة التي أرخت لتاريخ تلك الدول، وقد كانت كتاباته من أهم المصادر التي صرح بها ابن أبي طي، وتعددت الطرق التي استخدمها في الإشارة إليه:

أ - الإشارة إلى اسمه واسم مؤلفه:

من ذلك قوله: «وقد ذكر العماد الكاتب في سيرة السلجوقية»[٥]، ومن الجدير

بالذكر أن نشير هنا إلى أننا لاحظنا أن حذف المصدر الذي اعتمد عليه ابن أبي طي قد يكون في بعض الأحيان اختصار من المؤرخ الذي اقتبس نص ابن أبي طي، فقي الإشارة

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٩٩، ٥٠٧، ٦٦٣.
(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٤٥.
(٥) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٦.

السابقة، حذف ابن الفرات عند ذكره نفس النص الذى أورده أبو شامة اسم مؤلف العماد الأصفهانى واكتفى بقوله: «حكي» العماد الكاتب»[١].

ب – الإشارة إلى اسمه دون الإشارة إلى اسم كتابه:

من ذلك قوله: «وحكى العماد الكاتب»[٢]، وقد أتضح لنا من خلال مقارنة كتابات العماد عن الأحداث التى ذكرها عنه ابن أبى طى أنه أوردها فى كتابه «البرق الشامي»، الذى اختصره بعد ذلك «البنداري»، وأسماه «سنا البرق الشامي»[٣].

ج – ذكر أحداث شارك فيها العماد الأصفهانى دون الإشارة إلى اسم كتابه:

أورد ابن أبى طى فى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٥ م أحداث انتقال العماد الكاتب الأصفهانى إلى الموصل للعمل فى خدمة واليها «سيف الدين غازي»، وكان العماد قد سجل فى كتاباته تطورات الأمور فى الموصل، وأصبحت كتاباته عن هذه الأحداث مصدرا هاما لمعاصرته لها، ولأنه كان أيضا أحد شهود العيان بها، ولهذا اعتمد ابن أبى طى على كتاباته وأوردها على لسانه وبنفس أسلوبه، فقال عن وصول العماد إلى الموصل: «ومضى العماد الكاتب إلى الموصل.» قال «: وعزمت على خدمة سيف الدين صاحبها...»[٤]، وقد وردت هذه الأحداث أيضا فى كتابه البرق الشامى[٥].

د – ذكر أبيات من شعر العماد الأصفهانى دون الإشارة إلى اسم كتابه:

من ذلك قوله بعد سيطرة صلاح الدين على قلعة حمص فى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٥ م:

---

(١) المصدر السابق، ج ٣، ورقة ٣٠.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٦٢.

(٣) ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٦ - ٥٩٧.

(٥) سنا البرق، ص ٧٥ - ٧٦.

«وفى فتح قلعة حمص يقول العماد الكاتب من قصيدة»[١]، وقوله أيضا بعد انتصار السلطان صلاح الدين فى موقعة «تل السلطان» فى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م: «وهنأ العماد السلطان، رحمه الله تعالى، بقصيدة منها»[٢]، وقد أورد العماد

الأصفهانى معظم هذه القصيدة فى كتابه «الخريدة»، ولكننا لاحظنا أن القصيدة التى أوردها ابن أبى طى اشتملت على بعض الأبيات التى لم ترد فى الخريدة، وهذا يدل على أن ابن أبى طى اعتمد على مصدر آخر من مؤلفات العماد الأصفهانى وردت به أيضا هذه القصيدة[٣].

وإن كان ابن أبى طى لم يصرح باعتماده على العماد الأصفهانى سوى فى بعض الروايات إلا أننا من خلال مقارنة كتاباته بكتابات العماد تبين لنا أنه اعتمد عليه اعتمادا كبيرا فى معظم تاريخ الدولة الأيوبية، إلا أنه فى كثير من الأحيان كان يتصرف فى نص العماد، بأسلوب يشير إلى اعتماده عليه من ناحية، ومن ناحية أخرى يظهر أن ابن أبى طى كان يهتم بإضفاء أسلوبه على كتاباته.

ومن أكثر الروايات التى لاحظنا اتفاق ابن أبى طى فيها مع كتابات العماد الأصفهانى اتفاقا كبيرا وصل إلى حد التطابق فى المعنى وتسلسل الأفكار من ذلك:

ما أورده عن موقف السلطان صلاح الدين من الأمراء فى دمشق بعد عقدهم هدنة مع الصليبيين بعد وفاة نور الدين محمود فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م[٤]، ومن ذلك أيضا محاولتى اغتيال السلطان صلاح الدين أثناء حصاره الأول لحلب عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م، وحصاره لحصن «عزاز» فى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م، واللتان قامتا بهما قوات فرقة

(١) المصدر نفسه، ص ٦١١ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٥٢ .

(٣) قسم شعراء مصر، ج ١، ص١٧ ـ ٢٢ .

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٤ .

الإسماعيلية[١].

وقد أشارت أيضا بعض الدراسات الحديثة السابقة إلى اعتماد ابن أبى طى على مؤلفات العماد الأصفهانى، وفى مقدمتها كتابات المستشرق الفرنسى كلود كاهن[٢].

وهناك أيضا بعض المصادر التى صرح ابن أبى طى باعتماده عليها، واتسمت جميعها بسمة واحدة، وهى انه كشف عنها مرة واحدة فى خلال كتاباته التى وقفنا عليها ومن هذه المصادر:

٢ - ابن القلانسى:

كان ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م) من أهم المؤرخين فى القرن السادس

الهجرى، الثانى عشر الميلادى، وعاصر الكثير من الأحداث المهمة خاصة فى دمشق، ولهذا خصها بمؤلف تناول فيه تاريخها بالإضافة لتاريخ بلاد الشام ومصر والخلافة العباسية، ولهذا كان مصدرا مهما من المصادر التى اعتمد عليها ابن أبى طى، وقد صرح باعتماده عليه فى رواية ذكرها فى أحداث عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م، وناقش فيها عدة آراء قيلت حول ولاة الأمور فى حلب وكان من ضمنهم ابن القلانسى[٣].

وقد تبين لنا أيضا من خلال مقارنة كتابات ابن أبى طى مع ابن القلانسى أنه اعتمد عليه فى كثير من الأحداث التى تتعلق بتاريخ دمشق بصفة خاصة والشام بصفة عامة، وتجلى ذلك بوضوح فى كتابات ابن أبى طى عن تاريخ الدولة الأتابكية، ومن الأحداث التى تطابقت فيها كتابات ابن أبى طى مع ابن القلانسى:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠-٦١١، ٦٦٠.

(٢) La Syrie De Nord , p . ٥٦. وانظر أيضا: الباز العرينى: المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٩.

أحداث المحاولة التى قام بها أمراء الموصل وأرمينية وماردين لاسترداد إمارة الرها الصليبية فى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م[١]، ومنها أيضا معظم تفاصيل الغزو البيزنطى للثغور الشامية فى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ ـ ١١٣٧ م[٢].

وقد أشار أيضا كلود كاهن إلى ابن القلانسى وأورده ضمن مصادر ابن أبى طى، كما أورد من مصادره اثنين من مؤرخى حلب وهما: «ابن أبى جراده» و«حمدان بن عبد الرحيم»[٣].

٣ – ابن أبى جراده:

هو أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى جرادة (ت ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م)[٤]، أشار ابن أبى طى إليه فى نفس الرواية التى ذكر فيها رأى ابن القلانسى[٥]، ولم نتمكن من مقارنة كتابته مع ابن أبى طى لأنه فقدت أيضا معظم كتاباته.

٤ – حمدان بن عبد الرحيم:

هو حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان بن على بن خلف الأثاربى الحلبى، ولد فى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ ـ ١٠٧١ م، وألف كتابا بعنوان «سيرة الفرنج الخارجين إلى بلاد الإسلام»، وفُقد أيضا هذا الكتاب[٦]، وصرح ابن أبى طى باعتماده على كتاباته عند ذكره

(١) المصدر نفسه، م ١، ج ١، ورقة ٤١ ـ ٤٢.

(٢) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٩٣.

(٣) Op. cit, p. ٥٦. وانظر أيضا: الباز العرينى: المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٤٣٣، ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٥) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٩.

(٦) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ج ٢، ص ١٠٥؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

لأحداث مقتل الملك «آق سنقر البرسقي» فى شهر ذى القعدة عام ٥٢٠ هـ/ ١٠٢٦ م[١].

٥ – ابن المارستانى:

أشار ابن أبى طى إليه عند ذكره إحدى الرؤى التى تبشر بسقوط الخلافة الفاطمية وعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية، فقال: «وحكى ابن المارستانى فى سيرة ابن هبيرة الوزير...»[٢].

٦ – ابن بابويه:

هو أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى القمى، من علماء الشيعة، ألف العديد من المؤلفات يقال بلغت ثلاثمائة كتاب[٣]، وكانت كتاباته من المصادر التى اعتمد عليها ابن أبى طى فى ذكر تراجمه عن الشيعة، وصرح باعتماده عليه عند ذكره ترجمة : «محمد بن على بن الحسن بن على بن محمود الحمّصى الرازى الملقب بالشيخ السديد»، فقال: «وذكره «ابن بابويه» فى «الذيل»، وأثنى عليه، وذكر أنه كان يتعاطى بيع الحمص المصلوق»[٤].

٧ – السمعانى:

أشار إليه أيضا ابن أبى طى فى إحدى تراجمه عن الشيعة، فقال فى ترجمته عن:

« أصبهدوست بن محمد بن شيرونه الديلمى أبو منصور الشاعر»: «وكان يتشيع و

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١٠٧ .
(٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٩ ـ ٥٠١ .
(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ، ص ٣٨٧ .
(٤) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣١١ ، ٣١٥ .

يبالغ فيه، وربما سلك طريقة «ابن الحجاج» فى شعره، قاله «أبو سعد بن السمعاني»[١]، وقال: مات سنة تسع وستين وأربعمائة»[٢].

٨ - الطوسى:

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن على، من كبار فقهاء الشيعة (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)، من مؤلفاته: «الفهرس»[٣]، ذكره ابن أبى طى عند ترجمته: « لإسماعيل بن أبى زياد الشقري»[٤].

وفضلا عن هذه المصادر فقد اعتمد ابن أبى طى على اثنين من المجاميع:

الأول: من تأليف «والده»، أما الثانى: فقد صنفه أحد قضاة حلب وهو «العدل ابن دحم الحلبي»، وقد أشار ابن أبى طى إليهما فى رواية واحدة، وهى نفس الرواية التى ذكر فيها ابن القلانسى وابن أبى جرادة، حيث ناقش آراءهم جميعا حول ولاة الأمور فى حلب فى أحداث عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م[٥].

خامسا ـ الرسائل:

وهى من المصادر المهمة التى دعم بها ابن أبى طى كتاباتها، وخاصة تلك التى تتعلق بتاريخ مصر وبلاد الشام من ناحية، وبتاريخ مصر من ناحية أخرى :

---

(١) اشتهر بلقب السمعاني الإمام الحافظ الكبير أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر التميمي الخراساني المروزي المتوفي في عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، كما اشتهر به أيضا ولده عبد الرحيم أبي سعد بن عبد الكريم ، ولم يوضح في اقتباسه عن السمعاني علي من اعتمد منهما . (الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٥ ، ص ١٩٣ ، ١٩٨ ، ج ١٦ ، ص ١٢٥) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٧٩ .

(٣) الذهبي : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٦٢٤ ـ ٦٢٥ .

(٤) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢٤ .

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

١ – الرسائل المتبادلة بين مصر وبلاد الشام:

ويمثلها الرسائل المتبادلة بين الخلافة الفاطمية فى مصر والدولة الأتابكية فى بلاد الشام، وأيضا الرسائل المتبادلة بين مصر وبلاد الشام فى عهد الدولة الأيوبية، وقد

تعددت الأسباب التى أرسلت من أجلها، وكانت على النحو التالى:

أ – للإبلاغ عن أمر هام:

ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين الدولة الأتابكية وصلاح الدين أثناء ولايته الوزارة الفاطمية، لإبلاغه بأهمية الإسراع فى اتخاذ الإجراءات الخاصة بقطع الخطبة الفاطمية من مصر، ومنها رسالة أرسلها إليه فى عام عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م، قال ابن أبى طى فى ذلك: «أرسل الخليفة المستنجد بالله من بغداد إلى نور الدين يعاتبه فى تأخير إقامة الدعوة له بمصر. فأحضر الأمير نجم الدين أيوب وألزمه الخروج إلى ولده بمصر بذلك وحمله رسالة منها: وهذا أمر تجب المبادرة إليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة، والمنقبة النبيلة، قبل هجوم الموت، وحضور الفوت، لاسيما وإمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته، وهو عنده من أهم أمنيته»[١].

ومن أهم هذه الرسائل أيضا رسالة كتبها «القاضى الفاضل»، وأرسلها صلاح الدين من مصر إلى نور الدين محمود فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ليبلغه بتفاصيل التنظيم السرى الذى تزعمه بعض الأمراء المصريين لإعادة الخلافة الفاطمية، وتضمن الكتاب الكثير من التفاصيل الهامة التى لم ترد فى كتابات كثير من المؤرخين[٢].

ب – للبشارة بفتح إحدى البلاد:

ومن ذلك الرسائل التى أرسلها السلطان صلاح الدين من بلاد الشام إلى مصر إلى

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦) .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٦ .

الفقيه «زين الدين ابن نجا الواعظ»، وإلى أخيه الملك العادل ـ نائبه فيها ـ ليبشرهما بسيطرته على حمص فى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٥ م، وهما من إنشاء القاضى الفاضل[١]

ج – للحاجة إلى النفقات:

حيث كانت توسعات السلطان صلاح الدين فى بلاد الجزيرة فى عام ٥٧٧ هـ قد استنفذت الكثير من الأموال، ولهذا راسل نوابه فى دمشق و مصر لإرسال المال إليه، وقد أمدنا ابن أبى طى بأجزاء من نصوص رسائل صلاح الدين إلى ابن أخيه «عز الدين فرخشاه» فى دمشق وإلى أخيه «الملك العادل» فى مصر[٢].

د – لبحث أمر هام:

ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين فى مصر ـ عقب وفاة نور الدين محمود فى عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م ـ وأمراء نور الدين محمود فى دمشق، لبحث أحوال الدولة الأتابكية فى الشام[٣].

٢ – الرسائل المتبادلة داخل مصر:

ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين الوزير الفاطمى شاور وأسد الدين شيركوه أثناء حملات نور الدين محمود على مصر.

ومنها رسالة أرسلها شاور إلى أسد الدين شيركوه أثناء حصاره له فى بلبيس فى عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٤ م، قال ابن أبى طى: «و حكى أن شاورا أرسل إلى أسد الدين، وهو محصور ببلبيس، يقول له: اعلم أننى أبقيت عليك ولم أمكن الفرنج منك لأنهم كانوا قادرين

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ٩٦.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٥، ٥٩٧ـ٥٩٨، ٦٠٧.

عليك ؛ وإنما فعلت ذلك لأمرين: أحدهما أنى ما أختار أن أكسر جاه المسلمين وأقوى الفرنج عليهم. والثانى أنى خفت أن الفرنج إذا فتحوا بلبيس طمعوا فيها، وقالوا هذه لنا لأنا فتحناها بسيوفنا ؛ وما من يوم كان يمضى بمصر إلا وأنا أنفذ إلى كبار الفرنج الجملة من المال، وأسألهم أن يكسروا همة الملك عن الزحف»[١].

ومن ذلك أيضا أرسل أسد الدين شيركوه أثناء حملة نور الدين محمود الثانية فى مصر فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م إلى شاور خطابا عرض عليه فيه التحالف معا ضد الصليبيين، وهذا الخطاب يعد من الوثائق المهمة التى انفرد بذكرها ابن أبى طى فقال: «فأنفذ أسد الدين إلى شاور يقول له: أنا أحلف لك بالله الذى لا الله إلا هو، وبكل يمين يثق بها المسلم من أخيه، أننى لا أقيم ببلاد مصر ولا أعاود إليها أبدا، ولا أمكن أحدا من التعرض إليها، ومن عارضك فيها كنت معك إلبا عليه، وما أؤمل منك إلا نصر الإسلام فقط، وهو أن العدو قد حصل بهذه البلاد، والنجدة عنه بعيدة، وخلاصه عسير، وأريد منك أن نجتمع أنا وأنت عليه، وننتهز فيه الفرصة التى أمكنت والغنيمة التى كتبت، فنستأصل شأفته ونخمد ثائرته وما أظن أنه يعود يتفق للإسلام مثل هذه الغنيمة أبدا»[٢].

سادسا ـ دواوين الشعر:

كان ابن أبى طى ـ كما أوضحنا من قبل ـ مهتما باللغة والأدب، ووصف لذلك بالأديب، وهذا يفسر اهتمامه بتدعيم كتاباته كثيرا بأبيات من الشعر، فأورد العديد من القصائد لكثير من الشعراء، وقد احتل الشعراء الحلبيين مكانا مهما بين شعرائه، ومن أهمهم الشاعر «ابن سعدان الحلبي»[٣]، «وسعيد الحلبي»[٤]، «أبو الفضل حميد الحلبي»[٥].

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٥ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٥٤ ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٨١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٢ .

كما أورد ابن أبى طى بعض قصائد «العماد الأصفهاني»[١].

وقد دعم ابن أبى طى كتاباته كثيرا بأبيات الشعر، واختلفت المناسبات التى ذكره فيها، وهى على النحو التالى:

١ – الشعر السياسى:

أورد ابن أبى طى فى بعض الأحيان عدة أبيات من الشعر التى تحمل طابعا سياسيا، ومن ذلك:

ذكره وصية الوزير الفاطمى الملك طلائع بن رزيك إلى ابنه الملك العادل بشأن والى قوص شاور السعدى:

فإذا تبدّد شمل عقدكما لا تأمنا من شاور السعدى[٢]

كما أورد أيضا قصيدة كتبها الشاعر «سعدان الحلبي» لحث السلطان صلاح الدين على ولاية سيف الإسلام طغتكين اليمن بعد وفاة شمس الدولة تورانشاه فى عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م[٣]، وذكر أيضا عدة أبيات لشعراء من حلب لحث صلاح الدين على المسير إليها بعد وفاة الملك الصالح إسماعيل[٤].

٢ – للتبشير بحدث هام:

ومن ذلك البيت الذى أورده للقاضى محيى الدين بن زكى الدين، وفيه بشر السلطان بفتح القدس، فقال:

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٤١٥ ـ ٤١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ٨١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٤٢

و فتحكم حلبا بالسيف فى صفر . مبشر بفتوح القدس فى رجب[١]

٣ - للتهنئة بالمولود:

ومن ذلك القصيدة التى أوردها للشاعر الحكيم عبد المنعم، والتى كتبها لتهنئة السلطان صلاح الدين بولادة ولده الملك الأفضل نور الدين على[٢].

٤ - فى مدح الخلع العباسية:

ومن ذلك القصيدة التى ذكرها للشاعر ابن سعدان الحلبى والتى مدح فيها الخلع العباسية التى وصلت للسلطان صلاح الدين فى عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م[٣].

٥ - للتهنئة بفتح أحد البلاد:

من ذلك الأبيات التى أوردها لأكثر من شاعر حلبى بعد سيطرته صلاح الدين على حلب[٤].

ملامح أسلوب ابن أبى طى فى جمع المادة العلمية لكتاباته:

١ - الاهتمام بتفاصيل الحدث:

اتسم أسلوب ابن أبى طى فى جمع مادة كتاباته بسمة عامة، وهى البحث عن كل تفاصيل الحدث الذى يكتب عنه، من خلال مصادره المتنوعة والتى سوف نوضحها فى الصفحات القادمة، وأضفى بذلك على كتاباته طابع الشمول، وصارت معظم كتاباته

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ٢ ، ق١ ، ص ١٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢ ، ص٦٣٩ - ٦٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

أمثلة تؤكد هذا النهج العام فى أسلوبه.

فعند تناوله أحداث التنظيم السرى الذى كان يهدف إلى إعادة الخلافة الفاطمية فى عام ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤ م، لم يكتف ابن أبى طى بعرض تفاصيل الموضوع من خلال الأحداث المعروفة لدى كثير من المؤرخين، فاهتم ببحث أسباب هذا التنظيم، وانفرد بها، وأرجعها إلى أسباب اقتصادية وسياسية، كما اهتم أيضا بشخصية الرجل الذى أبلغ صلاح الدين بأمره، وأنفرد أيضا بذكر اسمه، كما أضاف أسماء بعض المشتركين فى هذا التنظيم، وبعد أن أورد معظم أحداث هذا التنظيم دعم كتاباته عن هذا الموضوع بوثيقة هامة أضافت المزيد من التفاصيل حوله، كما أوضحت الوثيقة تفاصيل فتنة أخرى فاتت فى الإسكندرية فى نفس الوقت، ولم تكن كل هذه التفاصيل معلومة لدى كثير من المؤرخين[١].

٢- الاهتمام بجذور الأحداث:

كما اهتم أيضا عند جمعه مادة كتاباته بالأحداث التى تمهد للحدث الذى يكتب عنه، وانفرد فى معظم الأحيان بهذا التمهيد الذى يزيد من فهم تطور الأحداث، فعند عرضه للفتنة التى قام بها «كنز الدولة» فى أسوان فى عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤ - ١١٧٥ م، انفرد بذكر تفاصيل فتنة أخرى وقعت قبله فى قوص قادها «عباس بن شاذي»[٢].

٣- العناية بالأشخاص:

وحرص ابن أبى طى أيضا عند جمعه مادة كتاباته البحث عن تطور أحوال أحد المشتركين فى الحدث بعد انتهائه، خاصة إذا كان لهذا الشخص دور رئيس فى سير هذا الحدث، فكان عند ذكره أسباب فشل وزارة الوزير الفاطمى الملك العادل رزيك (٥٥٦ -

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٦١-٥٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠١-٦٠٢.

٥٥٨ هـ / ١١٦١ ـ ١١٦٣ م) قد ذكر أن ابن عمه «عز الدين حسام» كان له دور كبير

فى هذا الأمر، ثم أمدنا بتطور أحواله بعد خروجه من مصر إلى الشام، فأوضح علاقته بالصليبيين و بالأمير «تقى الدين» فى حماه[1].

ومن ذلك أيضا اهتمامه بتتبع أحوال أسرى مدينة بلبيس الذين تم أسرهم فى الحملة لصليبية على مصر فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م، وانفرد بهذا فقال: «وبقى أهل بلبيس الذين أسروا أكثر من أربعين سنة فى أسر الفرنج، وهلك أكثرهم فى أيديهم، وأفلت منهم اليسير. لأن الملك الناصر رحمه الله لما ملك ديار مصر وقف مُغلَّ بلبيس على كثرته على فكاك الأسرى منهم ؛ وسامح أهل بلبيس بخراجهم إلى آخر أيامه»[2].

٤ – الاهتمام بالجانب الصليبى:

اهتم كذلك ابن أبى طى فى الأحداث التى شارك فيها الصليبيين بجمع معلومات هامة عن الجانب الصليبى وانفرد أيضا بذكر معظمها، من ذلك تفاصيل الاتفاق المادى بين الوزير الفاطمى شاور والملك عمورى الأول فى مقابل إرساله حملة صليبية إلى مصر فى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م فقال: « وضمنَ له فى كل مرحلة يرحلها إلى ديار مصر ألف دينار و قرر شيئا «لقضيم» دوابهم، وشيئا «لاسبتاريته»، فخرج مرّى من «عسقلان» فى جموعه إلى«فاقوس» فى سبع وعشرين مرحلة، وقبض عنها سبعة وعشرين ألف دينار ». كذلك أورد استعدادات مملكة بيت المقدس قبل إرسال حملتها الثالثة على مصر فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م فقال: «فجمع إليه ملوك الفُرنج وكبراء الداوية والإسبتارية، وتشاوروا، فجرت بينهم فى ذلك خطوب ؛ ثم أجابوه إلى الخروج معه إلى الديار المصرية، فأحضر وزيره وأمر بإقطاع بلاد مصر «لخيالته»، وفرق قراها على أجناده. وكان، لعنه الله، لما دخل ديار مصر قد

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص٤١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣١ .

أقام من أصحابه من كتب له أسماء قرى مصر جميعها، وتعرف له خبر «ارتفاعها»[١].

٥ – الاهتمام بالجغرافيا:

كما حرص ابن أبي طي في كتاباته على توضيح المواضع الجغرافية لسير الأحداث وأغلبها انفرد بذكرها. فعند ذكره دخول عماد الدين زنكي حلب عام ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م اهتم بتحديد تفاصيل الأماكن التي نزل عندها، فذكر انه نزل على «باب العراق»[٢]، كذلك عند وصول حملة أسد الدين شيركوه الأولى إلى مصر في عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٤ م قال: «نزلوا على تل في «الحوف» قريب من بلبيس يعرف «بتل بسطة»[٣].

واهتم أيضا بتحديد الموقع الجغرافي للمواضع التي يذكرها، وفي بعض الأحيان كان يحدد الموقع بدقة مثل قوله عن موقع «صدر»: «وهي على يومين من القاهرة»[٤]، وأحيانا أخرى يحدده تحديدا عاما، مثل قوله عن موقع «إطفيح»: «وهي في الجنوب من مصر»[٥].

٦ – الاهتمام بالنواحي الاجتماعية:

واهتم أيضا ابن أبي طي في كتاباته بتوضيح النواحي الاجتماعية في حياة الملوك فذكر تفاصيل زواج عماد الدين زنكي في حلب من ابنة ملك حلب السابق «فخر الملوك رضوان بن تتش» (٤٨٨ ـ ٥٠٧ هـ/ ١٠٩٥ ـ ١١١٣ م) في عام ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م ثم عرض بعد ذلك لطلاقه منها بعد مدة قصيرة، وأرجع ذلك لأسباب سياسية تتعلق بالثار من قتله أبيه كما اهتم بذكر أدق التفصيلات التي توضح الحالة النفسية التي صار عليها زنكي بعد رؤيته

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢١، ٤٢٩ ـ ٤٣٠.
(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٣، ورقة ٢.
(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤١٩.
(٤) المصدر نفسه والصفحة.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

دم والده فقال: «وشرب فى ذلك اليوم فى المنظرة التى تنظر إلى حلب»[١].

واهتم أيضا ابن أبى طى بتوضيح انعكاس الاضطرابات السياسة على الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد، فعند ذكره الاضطرابات التى أحدثها الأمير «دبيس ابن صدقة» فى بغداد فى عام ٥١٣ هـ قال: «واعتمد بحريق « الأنبار»، وتخريب الضياع حتى أجلا أكثر أهلها عنها، وتفرقوا فى البلاد، وغلا السعر ببغداد حتى بيع الخبز ثلاثة أرطال بقيراط وكانت الأمطار قليلة والجدب شامل»[٢].

ومن ذلك أيضا ما ذكره عن الآثار التى ترتبت على حريق الفسطاط فى عام ٥٦٤ هـ ١١٦٨ م. قال ابن أبى طى: « وأمر شاور بإحراق مصر وأنذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجّوا فى بلاد مصر، وبلغ أجرة الجمل إلى القاهرة ثلاثين دينارا، وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت»[٣].

٧ – الاهتمام بالكوارث والظواهر الطبيعية:

ومن ذلك اهتمامه بوصف الحالة الجوية فقال على سبيل المثال: «كانت هذه السنة (٥٧٠ هـ) شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الأمطار هائجة الأهوية»[٤].

٨ – العناية بالجوانب العلمية والثقافية:

كما كان ابن أبى طى يهتم بذكر المكتبات، وانفرد بذكر أعداد الكتب فى كثير من المكتبات منها مكتبة مدينة «أمد»[٥]، و«المكتبة الفاطمية»[٦]، وقد أخذت كتاباته التى ذكرها

(١) المصدر نفسه ، ورقة ١٤ .
(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٢ ، أحداث ٥١٣ .
(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٢ .
(٤) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
(٦) المقريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

عن أعداد نسخ تاريخ الطبرى فى المكتبة الفاطمية شهرة كبيرة، وأشادت المراجع الأجنبية بأهمية روايته[١].

ومن أهم المكتبات التى انفرد ابن أبى طى بذكر تفاصيل ما كانت تحتويه من الكتب «مكتبة مدينة طرابلس» التى دمرتها الحملة الصليبية الأولى عند دخولها إلى طرابلس فى عام ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩ ـ ١١١٠ م، ونظرا لأهمية روايته فسوف نذكر تفاصيلها هنا.

قال ابن أبى طى **عن أهمية مكتبة طرابلس**،: «كان فى طرابلس «دار العلم»، ولم يكن فى جميع البلاد مثلها كثرة وحسنا و جودة. وقال حدثنى أبى قال: حدثنى شيخ من أهل طرابلس قال: كنت مع «فخر الملك بن عمار» صاحب طرابلس وهو فى «شيزر»، وقد وصله أخذ طرابلس، فأغمى عليه، و أفاق، ودموعه تستبقه، و قال: و الله ما أسفى على شئ كأسفى على دار العلم، فإن فيها ثلاثة آلاف ألف ألف كتاب كلها فى علم الدين والقرآن و الحديث و الأدب. وقال: أن فيها خمسون ألف مصحفا، و أن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عز وجل»[٢].

ثم قال **عن التنظيم الدقيق للمكتبة**: «قال أبى: وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا، وكان بنو عمار قد عنوا بها العناية العظيمة. كان فيها مائة و ثمانون ناسخا ينسخ «بالجزاية» و «الجامكية»، منهم ثلاثون نفسا لا يفارقونها ليلا و لا نهارا، وكان لهم فى جميع البلاد من يشترى لهم الكتب المنتخبة، وكانت طرابلس فى أيام بنى عمار قد صارت جميعها دار علم، وقصدها الفضلاء من ساير الأقطار، ونفقت على بنى عمار ساير العلوم، وقصدهم الناس بها لاسيما علم الإمامية، فإنهم أحبوه و أحبوا أهله»[٣].

---

(١) F. Rosenthal : A History Of Muslim Historiography ; p . ٥٠ ;The History Of Al-Tabari; p .١٤١ .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٣٨ ـ ٣٩ ؛ C . CAHEN: Orient Et Occident Au Temps Des Croisades , pp . ٢٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٣٩ .

ثم قال عن الغزو الصليبى للمكتبة: «ولما دخل الفرنج إلى طرابلس و افتتحوها أحرقوا دار العلم. وكان السبب فى إحراقهم لها أن بعض القسوس، لعنهم الله تعالى، لما رأى تلك الكتب هالته. و اتفق أنه وَقع فى خزانة المصاحف الكرام، فمد يده إلى مجلد فإذا هو مصحف ثم إلى آخر فرآه كذلك، ثم إلى آخر فوجده مصفحا حتى اعتبر عشرين مجلدا. فقال: كل ما فى هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها، و تخطف الفرنج، لعن الله من مضى منهم وخذل من بقى منهم، أشيـا من الكتب، وهى التى خرجت إلى بلاد المسلمين»[1].

ويرجع اهتمام ابن أبى طى أيضا بذكر تفاصيل هذه المكتبة من ناحية، والوقوف على أكثر تفاصيلها من ناحية أخرى، إلى أن صاحب هذه المكتبة كان من الشيعة الإمامية، وترجم له ابن أبى طى فى كتاباته وهو : «الحسين بن بشر بن على بن بشر الطرابلسى المعروف بالقاضي»[2].

النقد التاريخى لكتابات ابن أبى طى:

يعد هذا الموضوع من أهم الموضوعات التى تتعلق بمنهج ابن أبى طى فى الكتابة التاريخية، لأننا لن ندرس هنا فقط النقد التاريخى لديه كغيره من المؤرخين عند دراسة منهاجهم فى الكتابة، ولما كان ابن أبى طى شيعيا لهذا صار مجال بحث النقد التاريخى لديه أكثر اتساعا لمعرفة مدى موضوعيته تجاه المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى التى تناولتها كتاباته، هذا بالإضافة لدراسة النقد التاريخى لدية بصفة عامة ومناقشة وتحليل النقد الذى وجه إليه من بعض المؤرخين السُنة القدامى، ومآخذ الدراسة على كتاباته.

(١) المصدر نفسه والورقة .

(٢) ابن حجر : لسان الميزان ، ج ٢ ، ٣١٦ .

موقف ابن أبى طى من المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى:

من أهم الموضوعات التى تتبادر لذهن القارئ للنقد التاريخى لكتابات ابن أبى طى، هو معرفة مدى موضوعيته تجاه المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى، ولهذا بدأنا به دراسة النقد التاريخى لديه.

يعتنق ابن أبى طى - كما أوضحنا من قبل - مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، وقد تناولت كتاباته الكثير من الأحداث التى يظهر من خلالها موقفه تجاه الشيعة الإسماعيلية وتجاه المذهب السُنّى:

أولا – كتابات ابن أبى طى عن الشيعة الإسماعيلية:

كشف ابن أبى طى فى بعض كتاباته العلاقة بين «الشيعة الإمامية والشيعة الإسماعيلية»[1]، من خلال بعض الأحداث التى أوردها عن تاريخ حلب، وهذا الكشف أتاح لنا فهم كتاباته عن تاريخ الخلافة الفاطمية فى مصر.

١ – موقف ابن أبى طى من الشيعة الإسماعيلية فى حلب:

أظهرت بعض كتابات ابن أبى طى عن الإسماعيلية فى حلب مدى كراهية الشيعة الإمامية لهم، وقبل البدء فى عرض الأحداث الدالة على ذلك، نوضح أولا نبذة عن

انتشار المذهب الإسماعيلى فى حلب.

---

(١) تنقسم فرق الشيعة إلي خمس فرق : « الكيسانية » ، و« الزيدية » ، و« الإمامية » ، و« الغلاة » ، و« الإسماعيلية » ، وقد اختلفت الإسماعيلية عن الإمامية الأثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق ، بينما ساق الأثنى عشرية الإمامة في ولد موسي الكاظم بن جعفر الصادق . (البغدادي : الفرق بين الفرق، ص ٦٤؛ الشهرستاني: الملل والنحل ، ج١، ص ١٤٧ ، ١٦٩، ١٩١)

كان الملك «فخر الملوك رضوان بن تتش بن ملكشاه» (٤٨٨ ـ ٥٠٧ هـ/ ١٠٩٥ ـ ١١١٣ م) أول من شجع الإسماعيلية على الاستقرار فى حلب، واستعان بهم فى أموره[١]، ولم تكن أعدادهم حتى عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ ـ ١١١٦ م تمثل أهمية كبيرة، حيث كان ابن أبى طى قد ذكر فى ذلك العام التقسيم المذهبى فى حلب، فقال: «أن أهل حلب كان أكثرهم إمامية، وما فيهم إسماعيلية ومصريين»[٢].

ثم بدأت أعدادهم تزداد عاما بعد آخر حتى أصبحوا بحاجة إلى مقر خاص لهم فى حلب، وهنا كشف ابن أبى طى عن طبيعة علاقة الإمامية والإسماعيلية من خلال نص مهم عرض فيه موقف ثلاثة من رؤساء حلب، وهم: نجم الدين إيلغازى بن أرتق (٥١٢ ـ ٥١٦ هـ/ ١١١٨ ـ ١١٢٣ م)، وأتابك عماد الدين زنكى (٥٢٢ ـ ٥٤١ هـ/ ١١٢٨ ـ ١١٤٦ م)، ونور الدين محمود بن زنكى (٥٤١ ـ ٥٦٩ هـ/ ١١٤٦ ـ ١١٧٤ م)، من طلب الإسماعيلية بتخصيص هذا المقر، وفيه أكد رفضهم طلب الإسماعيلية.

وقد بدأ الإسماعيلية فى طلب هذا المقر فى عام ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م، وحدد زعيمهم «أبى محمد» للملك نجم الدين إيلغازى «قلعة الشريف» لتكون مقرا لهم، فرفض طلبهم وأسرع بهدم السور الذى يفصلها عن مدينة حلب، وقد ظهرت كراهية الإمامية للإسماعيلية من خلال اشتراكهم فى هدم هذا السور، وفى مقدمتهم القاضى «ابن الخشاب»، كما شارك فى هدمها والد ابن أبى طى.

قال ابن أبى طى: و حدثنى أبى.. قال: لما أنفذ «أبو محمد» إلى «يلغازي» يطلب قلعة الشريف شاع هذا الخبر فى حلب، فاجتمع جماعة الحلبيين وقالوا: أن حصلت هذه القلعة فى أيدى الإسماعيلية ملكوا حلب، والصواب أن نجتمع ونخرب السور الذى بينها وبين حلب، ونسد الخندق و نجعلها من جملة البلد، فجمعهم ابن الخشاب وخربها، ولهذا السبب

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٦٧ .
(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .

قتلته الإسماعيلية... قال: و حدثنى أبى قال أنا فى جملة الذين هدموها»[١].

ثم أبان ابن أبى طى فى ختام هذه الموضوع عن رأيه تجاه الإسماعيلية وظهرت كراهيته الشديدة لهم بقوله: «ما وفق الله تعالى الأمير يلغازى، والأمير عماد الدين زنكى أتابك وولده الملك العادل نور الدين محمود من الصواب..... هذه الطايفة الملحدة، الخبيثة، لكانوا قد استولوا على هذه البلاد وسرت دعوتهم الخبيثة فى الوهاد .... ولكن الله تعالى حافظ هذا الدين من زيغ المعاندين وفساد الملحدين»[٢].

وهذه العبارات المباشرة الموضحة لرأى ابن أبى طى تجاه المذهب الإسماعيلى فى حلب، كان لها أثرا كبيرا فى تفهمنا لطبيعة كتاباته بعد ذلك عن الخلافة الفاطمية فى مصر، والتى كانت أيضا تعتنق المذهب الإسماعيلى.

٢ – موقف ابن أبى طى من الخلافة الفاطمية فى مصر:

القارئ لكتابات ابن أبى طى عن تاريخ الخلافة الفاطمية فى العقد الأخير من تاريخها (٥٥٦ ـ ٥٦٧ هـ/ ١١٦١ ـ ١١٧١ م) يضعه فى مكانة كبيرة بين أهم مؤرخى الخلافة الفاطمية، لما انفرد به من كتابات مهمة لم تتوافر لغيره من المؤرخين، وأبرز من خلالها تطور أحوال الوزارة الفاطمية فى تلك الفترة، بأسلوب يجعلنا فى حيرة فى أمره تجاه حقيقة موقفه من الدولة الفاطمية، فإذا نظرنا إلى كتاباته دون معرفة أنه كان يعتنق المذهب الشيعى نظنه سنى المذهب، وقد ظهر ذلك بصورة واضحة فى كتاباته عن سقوط الخلافة الفاطمية وعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية.

وقد لاحظنا ذلك من خلال اهتمامه بذكر بعض التفاصيل التى كان من الممكن أن يتجنبها حتى لا نستشعر سعادته من سقوط أكبر دولة قامت على أساس المذهب الشيعى

(١) المصدر نفسه، م ١، ج ٢، ورقة ٣٩ـ ٤٠.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٤٠.

الإسماعيلي، ومن الأمثلة التى ذلك:

أ – اهتمامه وانفراده بكتابة المراسلات بين الخلافة العباسية ونور الدين محمود من ناحية ونور الدين محمود وصلاح الدين فى مصر من ناحية أخرى، والمتعلقة بموضوع قطع الخطبة الفاطمية من مصر.

فقال ابن أبى طى فى عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م: «أرسل الخليفة «المستنجد بالله» من بغداد إلى «نور الدين» يعاتبه فى تأخير إقامة الدعوة له بمصر. فأحضر الأمير «نجم الدين أيوب» وألزمه الخروج إلى ولده بمصر بذلك، وحمله رسالة منها: وهذا أمر تجب المبادرة إليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة، والمنقبة النبيلة، قبل هجوم الموت، وحضور الفوت ، لاسيما وإمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته، وهو عنده من أهم أمنيته»[١]، وقال أيضا فى عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ ـ ١١٧١ م: «ولما ولى ابنه

(الخليفة) «المستضئ» أقبل أيضا على مكاتبة نور الدين فيه، وألح نور الدين على صلاح الدين فى طلبه»[٢].

ب– اهتمامه بذكر الرؤى المُبشرة بعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية:

وهى من أكثر الروايات التى كان عليه تجنبها، حتى لا ينتقد باعتقاده فيها من ناحية ومن ناحية أخرى لأنها تشير إلى قرب تحقق رغبة أهل السنة بعودة انتشار مذهبهم فى مصر مرة أخرى، ومن ذلك الرؤية التى رآها الوزير الفاطمى شاور السعدى فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م، وهى تشير إلى هلاك الدولة الفاطمية على يديه[٣]، كما أشار ابن أبى طى إلى رؤية أخرى رآها أسد الدين شيركوه فى نفس العام، وهى تنبئ بقرب ولايته الوزارة الفاطمية

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ (طبعة دار الكتب) .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٨ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٥ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص ٣٠ (المطبوع) .

بعد الوزير شاور[١]، كما أورد بعد سقوط الخلافة الفاطمية فى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م رؤية مماثلة تبشر بعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية[٢]، ثم اختتم كتاباته عن الخلافة الفاطمية بذكر رواية عن الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله - آخر الخلفاء الفاطميين - وفيها تنبأ بقرب سقوط الخلافة الفاطمية[٣].

ج - ذكره نص البشارة العامة بسقوط الخلافة الفاطمية:

وهى من إنشاء العماد الكاتب الأصفهانى، وكتبها لإعلام كافة البلاد بعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية، وانفرد بها ابن أبى طى وجاء فيها: «أصدرنا هذه المكاتبة إلى جميع البلاد الإسلامية عامة بما فتح الله على أيدينا رتاجه، وأوضح لنا منهاجه، وهو ما اعتمدناه من إقامة الدعوة الهادية العباسية، بجميع المدن والبلاد والأقطار والأمصار المصرية..... وطالما مرت عليها الحقب الخوالى، وآبت دونها الأيام والليالى، وبقيت مائتين وثمانين سنة ممنوَّة بدعوة المبطلين، مملوَّة بحزب الشياطين سابغة ظلالها للضلال»[٤].

د - ذكره تفاصيل التنظيم الذى كان يهدف إعادة الخلافة الفاطمية:

وهو من أكثر الموضوعات التى اتسمت فيها كتابات ابن أبى طى بالشمول، وفيه اهتم بذكر كل التفاصيل الموضحة للتنظيم السرى الذى تزعمه مؤيدى الخلافة الفاطمية بعد عامين من سقوطها فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ففضلا عن ذكر روايته التى اشتملت على توضيح الكثير من تفاصيله، انفرد بذكر نص الرسالة التى أرسلها صلاح الدين إلى نور الدين محمود ليخبره بأمر هذا التنظيم، وكيفية اكتشافه له وقضائه عليه بعد ذلك[٥].

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩٩ - ٥٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٠٢ .

(٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦١ ، ٥٦٣ - ٥٦٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٧٩٧ .

وفى اعتقادنا أن فشل مثل هذا التنظيم الذى كاد أن يعيد حكم المذهب الشيعى الإسماعيلى إلى مصر مرة أخرى، من الموضوعات التى تترك أثرا مؤلما فى وجدان الشيعة، ولهذا كان من المتوقع أن يتناوله ابن أبى طى فى مساحة أقل، إلا إذا كانت لديه حسابات أخرى، وخلاصة القول ظهر أسلوب ابن أبى طى فى بعض كتاباته عن الخلافة الفاطمية بصورة تشير إلى اهتمامه بعودة المذهب السنى إلى مصر، ويرجع ذلك فى رأينا إلى كراهيته للمذهب الإسماعيلى من ناحية، ومن ناحية أخرى لتمجيده دور السلطان صلاح الدين الأيوبى فى كتابه الذى ألفه لتخليد سيرته، والذى وردت به كل كتاباته عن الخلافة الفاطمية.

ثانيا ـ العلاقة بين الشيعة الإمامية والمذهب السنى:

كشف ابن أبى طى عن عاطفة الشيعة الإمامية تجاه أهل السنة، من خلال بعض كتاباته التى أوضح فيها **موقف كل منهما من انتشار المذهب الآخر فى حلب.**

١ – موقف الشيعة الإمامية من انتشار المذهب السنى فى حلب:

كانت حلب حتى بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، معظم أهلها من الشيعة الإمامية، وقد ذكر ذلك ابن أبى طى فى رواية مهمة تناول فيها التقسيم المذهبى فى حلب فى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ ـ ١١١٦ م فقال: **«إن أهل حلب كان أكثرهم إمامية..... وفيهم الأقل من أهل السنة»**[1]، ولهذا وجد قرار «لؤلؤ الخادم» ـ وكان بيده مقاليد الحكم فى حلب ـ الخاص بإنشاء أول خانقاه للصوفية فى حلب فى ذلك العام معارضة شديدة من قبل الشيعة الإمامية بها، خشية انتشار المذهب السنى فى حلب.

وقد انفرد ابن أبى طى بذكر أسباب معارضة الشيعة، فقال: **«إنا نكره مجاورة هذه الطايفة، فأنهم أهل بطالة، مع ما فيه من تطرق الغريب إلى السكنى بحلب وكشف أحوالنا،**

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .

وصرف أولادنا عما هم معتادوه من شظف العيش، وخشونة المأكل والملبس وأن سكنى هذه الطايفة تعُب على المشاحنة والعصبية ووقوع الفتن»[١]، ولهذا قام الشيعة بهدم ما تم بناؤه منها، فاتخذ لؤلؤ الخادم إجراءات مشددة مع المعارضين منهم حتى انتهى من بناءها، فقال ابن أبى طى: «ويلغ لؤلؤ إنكار الحلبيين بناء الخانقاه فألح فى عمارتها، فاجتمع جماعة من الحلبيين إليها فى الليل وهدموها، ويلغ ذلك لؤلؤ فاءمر بجماعة من الحلبيين فاعتقلوا حتى تمت عمارتها»[٢].

٢ – موقف نور الدين محمود من انتشار المذهب الشيعى فى حلب:

تناولنا فى بداية هذا الفصل تفاصيل السياسة التى اتبعها نور الدين محمود بن زنكى للحد من انتشار المذهب الشيعى فى حلب منذ عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م حتى وفاته فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ولقد كان والد ابن أبى طى من كبار زعماء الشيعة الذين أضيروا من قرار نور الدين محمود، ولهذا لم يخف والده موقفه تجاه ذلك، ولكننا لاحظنا أنه كان دائما يعلن عن كراهيته تجاه بعض معاونى نور الدين محمود من السنة.

أما بالنسبة لموقف ابن أبى طى ووالده من نور الدين محمود فلم تضح بصورة مباشرة كراهيتهما له فى ملف كتاباتهما عن العلاقة بين السنة والشيعة، وإنما على العكس من ذلك أوجد والد ابن أبى طى لنور الدين محمود سببا جعله يتخذ هذا القرار وتمثل ذلك فيما واجهه من ضغوط من أهل السنة من داخل حلب وخارجها - وسوف نوضح تفاصيل ذلك فيما بعد - وإنما ظهرت كراهية ابن أبى طى ووالده من نور الدين محمود - كما ذكر بعض المؤرخين القدامى ومنهم أبى شامة - من خلال كتابات ابن أبى طى ووالده عن سوء العلاقة بين نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين فى مصر، وعللوا كتابات ابن أبى طى التى أبرز فيها تلك العلاقة بأنه كان متحاملا على نور الدين محمود بسبب

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .
(٢) المصدر نفسه والورقة .

سياسته تجاه الشيعة، وقد تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل فى فصل العلاقة بين الدولة الأتابكية والأسرة الأيوبية.

وسوف بعض المواقف التى ظهرت فيها كراهية ابن أبى طى ووالده تجاه معاونى نور الدين محمود من السنة، ومنهم:

أ – ابن الطرسوسى والقاضى ابن الشهرزورى:

ألقى والد ابن أبى طى فى كتاباته التى أخذها عنه ابن أبى طى بعد ذلك مسئولية

اتخاذ نور الدين محمود قراره بمنع شعائر الشيعة فى حلب فى عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م إلى بعض كبار أهل السنة فى حلب، ومنهم ابن الطرسوسى والقاضى ابن الشهرزورى،

وفى نفس الوقت انفرد بتبرئة نور الدين محمود عندما أوضح أنه كان يبغى اتباع سياسة التسامح تجاه الشيعة فى بداية ولايته حلب فى عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م، وانه قام لذلك بزيارة أحد الأماكن المقدسة لديهم، وأنه غير قراره بعد ذلك بسبب الضغوط الداخلية وتتمثل فى كبار السّنة فى حلب: ابن الشهرزورى وابن الطرسوسى وغيرهم، «والخارجية» وتتمثل فى معين الدين إنر، والفقيه برهان الدين البلخى فى دمشق، وأوضح من خلال ذلك كيف كان لهذه الضغوط دور كبير فى إقناع نور الدين محمود لمدة عامين (٥٤١ ـ ٥٤٣ هـ/ ١١٤٦ ـ ١١٤٨ م) بتغيير سياسة الدولة تجاه الشيعة.

فقال ابن أبى طى: «حدثنى أبى قال: كان نور الدين فى ابتدا أمره.... على رأى أبيه فى إكرام الحلبيين وتركهم والتظاهر بمذهبهم من الصلاة..... وكان اجتمع إلى الملك العادل نور الدين جماعة أهل السنة من حلب والقاضى «ابن الشهرزورى الأعور» و«ابن الطرسوسي»، وقالوا له فى أمر الحلبيين أشيا فلم يقبلها... فلما أراد (نور الدين محمود) الوصلة بينه وبين «خاتون بنت الملك معين الدين» صاحب دمشق، كان الرسول فيها «ابن الطرسوسي»، وكان الشيخ «برهان الدين على الفقيه الحنفى المعروف بالبلخي» مقيما

بدمشق فاجتمع به ابن الطرسوسى رسول الملك العادل نور الدين، وشرع معه فى أمر الحلبيين، فقرر الأمر على أن يرسل إلى الملك العادل نور الدين وينكر عليه التغاضى لما يفعله الحلبيون.... وقال ابن الطرسوسى أيضا للملك معين الدين صاحب دمشق: يجب أن تنكر أنت هذه الحال على نور الدين، فرد الملك معين الدين الرسالة وقال: ما أزوج بنتى لمن يفعل فى بلده كيت وكيت، فرجع ابن الطرسوسى ومن كان معه فى الرسالة، وقالوا: للملك العادل نور الدين ما قاله لهم صاحب دمشق وما شنع عليهم به، وعظموا عليه الحال وهونوا عليه أمر الحلبيين وصرفهم عن ما هم عليه و ضمنوا له أنه لا يتأذى بذلك ولا يخشى... وأن الملك لا يتأثر بذلك، وحملوه إلى أن أمر منع الحلبيين من ذلك»[1].

وفى رأينا تميزت هذه الكتابات التى أوردها ابن أبى طى نقلا عن والده والتى تتعلق بسياسة نور الدين محمود تجاه الشيعة بالموضوعية، ذلك لأنه كان من مصلحة والده بحكم أنه أضير هو وأسرته من هذه السياسة أن يذكر تفاصيل تدين نور الدين محمود بصورة مباشرة، ولا يوجد له المبررات التى دفعته إلى ذلك، وقد يقال أنه تعمد إخفاء رأيه لمعاصرته لنور الدين محمود ولخوفه منه، ولكن والد ابن أبى طى - على حسب ما توافر لدينا من معلومات عنه - لم يكن مؤرخا تتداول كتاباته فى حلب وغيرها، وإنما كانت معظم الكتابات التى نقلها عنه ابن أبى طى حدثه بها والده بعد وفاة نور الدين محمود.

ب- بنو الداية وعز الدين جرديك:

أشار ابن أبى طى فى موضع آخر من كتاباته نقلا أيضا عن والده إلى ضغوط أخرى واجهها نور الدين محمود من قبل «بنو الداية» (أخوته فى الرضاعة) والأمير عز الدين جرديك، وأوضح أنهم كان لهم دور كبير فى نفى والده بعد ذلك من حلب مع غيره من كبار الشيعة، فقال: «وكتب أبى إلى حلب حين اتصل به قبض أولاد الداية وجرديك،

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٦٢ - ٦٤ .

وكانوا تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب»[١]، وأكد بذلك والده مرة أخرى أن نور الدين محمود لم يكن المسئول الأول فى قمع الشيعة فى حلب، وإنما كان هناك من شجعه وساعده على ذلك، وقد ظهرت كراهية ابن أبى طى ووالده من بنى الداية وجرديك من خلال بعض كتاباته، ومن ذلك:

كان والد ابن أبى طى قد تزعم الشيعة فى حلب فى عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م أثناء مرض نور الدين محمود، وقاموا بمحاولة لتغيير السلطة إلى أخى نور الدين محمود الأصغر - الذى كانت إليه ولاية العهد من بعد نور الدين محمود - وهو «نصرة الدين أمير أميران»، وقد علل والد ابن أبى طى سبب قيامهم بذلك قائلا: «اشتد به (نور الدين محمود) المرض وأرجف الناس بموته، واستولى الأمير مجد الدين بن الداية واخوته على الأمر بحلب، وأخذوا فى ترتيب الملك للأمير مجد الدين، وبلغ ذلك جماعة الحلبيين، فكرهوا أولاد المجدية لمكان المذهب، وراسلوا الأمير نصرة الدين أمير أميران... وأحضروه إلى حلب»[٢].

أظهر والد ابن أبى طى سعادته من خبر القبض على بنى الداية وجرديك فى حلب فى عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م، من خلال هجائه لهم فى شعره[٣]، وقد أوردناه فى كتاباتنا عن والد ابن أبى طى فى مقدمة هذا الفصل.

كما ظهر ذلك أيضا من خلال التفاصيل الدقيقة التى ذكرها ابن أبى طى عن أحداث القبض عليهم عند وصول الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود من دمشق إلى حلب بعد وفاة والده، وأوضح من خلالها سوء العلاقة بين بنى الداية وجرديك، وكأنه كان يتشفى منهما، فقال عند القبض على حسن بن الداية واخويه سابق الدين وشمس الدين: «وكان حسن.... لما خرج إلى لقاء الملك الصالح ووقعت عينه عليه ترجَّل ليخدم هو

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٨ .
(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٣ ، ج ٥ ، ورقة ١٠٩ .
(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٨ .

وجماعة من أصحابه، فتقدم «جرديك» وأخذ بيده، و شتمه وجذبه، فأركبه خلفه رديفا، وقَبض سابق الدين أخوه فى الحال، و تُخُطّفت أصحابهم جميعهم واحتيط عليهم..... و قبضوا على شمس الدين على بن الداية من فراشه، وحمل إلى

بين يدى الملك الصالح ؛ فاستقبله أحد مماليك نور الدين المعروف «بالجفنية»، فركله

برجله ركلة دحاه بها على وجهه، فانشقت جبهته، ثم صفّدوا جميعا و حبسوا فى جُب القلعة»[1].

وقال أيضا ابن أبى طى **عن علاقة جرديك مع بنى الداية عندما إلقاء القبض عليه وإنزاله إليهم فى جب القلعة فى نفس العام أيضا** : « فقبض وثقّل بالحديد، وأخذ بالعذاب الشديد، وحمل إلى الجب الذى فيه أولاد الداية، ثم قال أيضا:» ولما قدم جرديك وشدّ فى وسطه الحبل وأدلى إلى الجب وأحس به أولاد الداية قام إليه منهم حسن و شتمه أقبح شتم، وسبه ألاّم سب، و حلف بالله إن أنزل إليهم ليَقتُلنّه فامتنعوا

من تدليته، فأعلم «سعد الدين كمشتكين» فحضر إلى الجبّ و صاح على حسن وشتمه وتوعّده، فسكن حسن وأمسك، وأنزل جرديك الجبّ، فكان عند أولاد الداية، وأسمعه حسن كل مكروه»[2].

النقد التاريخى عند ابن أبى طى:

أظهر ابن أبى طى فى كتاباته عاطفته تجاه بعض الدول، فأعلن فى كثير من الأحداث التى كانت لها علاقة بالصليبيين شعوره تجاههم، وهو لم يختلف فيه عن غيره من المؤرخين المسلمين فى ذلك العصر الذى كانت فيه قضية الجهاد أهم القضايا، ولهذا نجده دائما يدعو بعد ذكر اسم أى منهم أن تصيبهم لعنة الله تعالى.

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠٨ .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها: قال ابن أبى طى عن الأمير «بلدوين دى بورج» أمير إمارة الرها الصليبية بعد أن أفرج عنه أمير الموصل «جاولى سقاوو» فى عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ ـ ١١٠٩ م: «عدو الله القمص اللعين»[١]، كذلك قال ابن أبى طى على عدد من ملوك الصليبيين أثناء المحاولة التى قام بها بعض الأمراء المسلمين لإسقاط إمارة الرها فى عام ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩ ـ ١١١٠ م: «لعنهم الله أجمعين»، وفى نفس النص قال عن أمير الرها: «وخرج عنها اللعين بغدوين الرويس»[٢]. وفى موضع آخر قال على الملك عمورى الأول عند ذكره أسباب الحملة الصليبية على مصر فى عام ٥٦٤ هـ/ ١١٦٨ م: «وكان لعنه الله..»[٣]، كما قال أيضا فى وصف عام للمعارك التى خاضها أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب مع الصليبيين: «وشهدا... حروب الكفار وقتال الفرنج، لعنهم الله تعالي»[٤].

وقد أظهر أيضا ابن أبى طى موقفه من تصرفات بعض الحكام المسلمين. فكان على سبيل المثال قد عرض تفاصيل قيام أمير الموصل «جاولى سقاوو» بإطلاق سراح أمير الرها «بلدوين دى بورج» فى عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ ـ ١١٠٩ م، فأظهر ابن أبى طى استياءه من هذا الموقف من ناحية ومن ناحية أخرى انتقد سياسة جاولى تجاه المسلمين والصليبيين فقال: «وكان هذا من عجيب الإستيا، يأسر جاولى بالموصل القضاة والأشراف وأهل الدين من المسلمين، ويطلق عدو الله القمص اللعين»[٥].

وفى رواية أخرى لابن أبى طى وضع تقييما عاما لعهد السلطان السلجوقى «محمد ابن ملكشاه» أثناء ترجمته له فى عام ٥١١ هـ/ ١١١٨ م وذكر أنه اتسم عهده بالحروب

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٢٢.
(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤٢.
(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣٨.
(٥) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٢٢.

الكثيرة، وأرجع ذلك إلى: «**تولى غير الكفاة وتصرف غير أرباب التصرفات**»[١].

ووجه أيضا ابن أبى طى نقدا صريحا لعماد الدين زنكى إزاء موقفه من رسل أمير دمشق بعدما عقد هدنة معهم فى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م، ثم ماطل الرسل فى حلف اليمين، ثم جعل أحد الخدم يؤدى هذا اليمين عنه أمام الرسل، فانتقده ابن أبى طى فى هذا الموقف وقال: «**وهذا من عظيم الجبرية وغاية الخرق**»[٢].

كما يظهر الجانب النقدى لدى ابن أبى طى من خلال اهتمامه بكشف العامل الرئيسى المؤثر على سير الأحداث، فقال على سبيل المثال عن أسباب فشل وزارة الوزير الفاطمى العادل رزيك (٥٦٦ ـ ٥٥٨ هـ / ١١٦١ ـ ١١٦٣ م): «**وتفرق آل رزيك فى البلاد، ونجا حسام الذى كان سبب هلاك بنى رزيك**»[٣].

وفى رواية أخرى أوضح الأسباب الرئيسة لسقوط وزارة الوزير الفاطمى ضرغام (٥٥٨ ـ ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ ـ ١١٦٤ م)، وسقوط الخلافة الفاطمية بعد ذلك، فعلق بعد ذكره خبر قيام ضرغام بقتل الكثير من الأمراء المصريين فقال: «**فكان ذلك أكبر الأسباب فى هلاكه وخروج دولة المصريين عن يد أصحابها، لأنه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء**»[٤].

كما يظهر الجانب النقدى لدى ابن أبى طى عندما يضعف بعض الروايات بطريقة غير مباشرة فيوردها بصيغة التضعيف. فبعد ذكره للرواية التى يراها صحيحة، يعرض للرأى الآخر فيقول: «وقيل» أو «ويقال».

فكان على سبيل المثال قد ذكر قيام الوزير الفاطمى ضرغام (٥٥٨ ـ ٥٥٩ هـ /

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ورقة ٩٢ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤١٧ .

١١٦٣ ـ ١١٦٤ م) بقتل الكثير من أمراء المصريين فقال: «وقيل» أنه قتل منهم سبعين أميرا. «ويقال» إنه جعلهم فى توابيت وكتب على كل تابوت اسم صاحبه»[١].

كما كان قد ذكر أيضا أن الأمير «ابن مصال» هو الذى أبلغ صلاح الدين بأمر التنظيم السرى الذى كان يهدف إلى إعادة الخلافة الفاطمية فى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ثم عرض رواية أخرى مخالفة لما ذكره فقال: « «وقيل» إن الذى أذاع سرّهم «زين الدين على الواعظ»[٢].

لاحظنا أيضا من خلال دراستنا لابن أبى طى أنه كان يهتم فى بعض الأحيان بتحقيق الآراء التى قيلت فى موضوع ما، ويذكر رأيه فى نهاية هذا التحقيق، وهذا النهج يبين لنا اهتمامه بالنقد.

فكان على سبيل المثال قد ذكر معظم الآراء التى قيلت حول نسب نجم الدين أيوب، وناقشها، وخرج برأى نهائى، فقال: «حدثنى أبى رحمه الله قال: كان «تقى الدين عمر» يزيد فيقول: شاذى بن مروان، وقد ادعى ابن سيف الإسلام لما ملك اليمن أنهم من بنى «مروان بن محمد الجعدى المعروف بالحمار»، يعنى آخر خلفاء بنى أمية، وقد نقبت عن ذلك فأجمع الجماعة من آل أيوب بأن هذا كذب »[٣].

ثم أنهى ابن أبى طى بحثه عن نسب نجم الدين أيوب بأنه هو: «نجم الدين أيوب ابن شاذي»، (وأنه) «لا يُعرف فى نسبه أكثر من والده شاذي». ثم أكد هذا الرأى مرة أخرى تأكيدا قاطعا بقوله: «أن جميع آل أيوب لا يعرفون جدا فوق شاذي»[٤].

كما اتبع ابن أبى طى منهج المقارنة فى جمع بعض كتاباته، فعند ذكره ولاة حلب بعد

(١) أبو شامة : المصدر السابق ،ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٧ .
(٢) أبو شامة : المصدر السابق ،ج ١ ، ق ٢ ، ص٥٦١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ .

الملك سلطان شاه فى عام ٥١٢ هـ قال: «أن الأمير «لؤلؤ» انفرد بمملكة حلب بعد الملك سلطان شاه بن الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان صاحب حلب، وولى بعده «ابن الملحي» ثم قال: ورأيت فى تاريخ «ابن أبى جرادة» أن الملك سلطان الدولة ملك بعد أبيه الملك رضوان، ولم يذكر لؤلؤ الخادم، ولا ابن الملحى. وقد ذكر «ابن القلانسي» كما ذكرت أولا. قال: وذكره «أبي» فى «مجموعه»، وكذلك وجدته فى مجموع القاضى «العدل بن دحم الحلبى»[1].

نقد المؤرخين القدامى لابن أبى طى:

كان ابن أبى طى وكتاباته محل نقد بعض الجغرافيين والمؤرخين القدامى المعاصرين واللاحقين به، وكان من أكثر الذين وجهوا له نقدا لاذعا:

الجغرافى ياقوت الحموى[2]:

أورد ياقوت الحموى عدة أسطر عن ابن أبى طى وضع فيها خلاصة رأيه فيه كمؤرخ، وفى هذا الرأى هدم ابن أبى طى المؤرخ، ولم يكتف بذلك بل اتهمه أيضا بأن مؤلفاته قام بسرقتها من مؤلفات غيره ووضع عليها اسمه. وكان ياقوت قد أورد نص هذه الترجمة ضمن كتابه «معجم الأدباء»[3]، ولكنها فقدت بعد ذلك من أصل الكتاب، ووصلنا أجزاء من هذه الترجمة ضمن مؤلفات اثنين من المؤرخين، وهما: « الكتبي» (ت

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

(٢) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار الملقب شهاب الدين : أسر من بلاده صغيرا ، فاشتراه تاجر حموي ، فرباه ، وأقرأه القرآن ، وعلمه الخط ، ثم اشتغل بالتجارة فترة . ألف العديد من الكتب منها : معجم البلدان ، ومعجم الأدباء ، وأسماء الجبال و الأنهار و الأماكن ، توفي في رمضان عام ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م بحلب ولم يبلغ الستين من عمره . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ١٢٧ - ١٣٩ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ، ج ٦ ، ص ٣١٧) .

(٣) كان الكتبي قد أشار إلي ذلك عند عرضه أجزاء من الترجمة ، وذكر أن ياقوتا أورد له ترجمة طويلة في هذا الكتاب . (فوات الوفيات ، ج ٤ ، ص ٢٦٩).

عام ٧٦٤ هـ / ٦٢ ـ ١٣٦٣ م) و«ابن حجر العسقلاني» (ت عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).

قال ياقوت عن ابن أبى طى: كان يدعى العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية، وجعل التأليف حانوته، ومنه قوته ومكسبه، ولكنه كان يقطع الطريق على تصانيف الناس، يأخذ الكتاب الذى أتعب جامعه خاطره فيه فينسخه كما هو إلا أنه يقدم فيه ويؤخر، ويزيد وينقص، ويخترع له اسما غريبا، ويكتبه كتابة فائقة لمن يشبه عليه ورزق من ذلك حظا[١].

وبعد أن ذكر ياقوت رأيه هذا فى مؤلفات ابن أبى طى ذكر بعض أسماء تلك

المؤلفات ، وأوردها عنه ابن حجر العسقلانى[٢]، وهناك قائمة أخرى لمؤلفات ابن أبى طى أوردها «الكتبي» ـ الذى اعتمد أيضا على ترجمة ابن أبى طى التى ذكرها ياقوت الحموى ـ وإن كان الكتبى لم يصرح بأنه اعتمد على ياقوت فى ذكر هذه القائمة، إلا أن احتمال نقله هذه القائمة عنه احتمال وارد، خاصة أنه سجل نفس الأسماء التى ذكرها ابن حجر عن ياقوت[٣].

وفى الحقيقة فإن ترجمة ياقوت الحموى عن ابن أبى طى تمثل لنا أهمية كبيرة فى هذه الدراسة، لأنها تعد المصدر الرئيسى لكتابات الكتبى وابن حجر العسقلانى، وهما من أهم المصادر التى ترجمت لابن أبى طى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه قلل كثيرا من شأن ابن أبى طى ومكانته بين أقرانه من المؤرخين، وزاد بذلك من صعوبة هذه الدراسة

---

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٢) وهي : « معادن الذهب في تاريخ حلب » (كبير) ، و « شرح بهجة البلاغة » في ستة مجلدات ، و« فضائل الأئمة » في أربعة مجلدات ، و« خلاصة الخلاص في آداب الخواص » في عشرة مجلدات ، و « الحاوي في رجال الإمامية » ، و« سلك النظام في أخبار الشام » ، إلي غير ذلك . (لسان الميزان ، ج ٦ ، ص ٣٤٤) .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ .

التى وضعت لتقييم المؤرخ ابن أبى طى.

ومما زاد من صعوبة التحقق من صدق رواية ياقوت الحموى أنه كان معاصرا لابن أبى طى فى حلب، حيث زار ياقوت حلب فى عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م[١]، ثم أقام فيها آخر فترة من حياته، وتوفى بها فى رمضان عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م[٢]، وقد أكد ابن حجر العسقلانى، من خلال كتابات ياقوت نفسه، أنه التقى مع ابن أبى طى فى حلب فى عام ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م[٣]، وبهذا يكون ياقوت قد سجل هذا الرأى بعد معرفته بابن أبى طى.

وإن كنا لا نعلم شيئا عن طبيعة العلاقة بينهما، فمن الممكن معرفة جانب منها من خلال ما نعلمه عن كل من ابن أبى طى وياقوت الحموى. فبالنسبة لابن أبى طى فقد عرفنا الكثير عنه من خلال دراستنا عنه، خاصة الروايات التى ذكرها هو عن نفسه، وكذلك بالنسبة لياقوت الحموى فقد عرفنا بعض التفاصيل عنه من خلال التراجم التى كتبت عنه.

ومن خلال ذلك لاحظنا أنه من المستبعد أن يكون قد قامت بينهما علاقة طيبة بل العكس هو الصحيح، بسبب معتقدات كل منهما، فالمعروف أن ابن أبى طى كان شيعى المذهب، أما ياقوت الحموى فقد كان على حد قول ابن خلكان: «متعصبا على على بن أبى طالب... وتوجه إلى دمشق فى سنة ثلاث عشرة وستمائة... وناظر بعض من يتعصب لعلى.. وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره عليا.. بما لا يسوغ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه، فسلم منهم، وخرج من دمشق منهزما بعد أن بلغت القضية إلى والى البلد، فطلبه فلم يقدر عليه، ووصل إلى حلب خائفا يترقب»[٤].

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ٣٨٣ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٨ .

(٢) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

ومن المؤكد أن يكون ابن أبى طى قد علم بأمره عند وصوله إلى حلب، ومن غير المستبعد أن يكون بعد عودة ياقوت إلى حلب مرة أخرى وإقامته بها حتى وفاته ـ كما ذكرنا من قبل ـ قد قامت بينهما مناظرة أخرى. وعلى كل الأحوال فإن تعصب ياقوت الحموى الشديد تجاه الشيعة يجعلنا ننظر إلى روايته عن ابن أبى طى ـ بصفة عامة ـ بحذر شديد.

ومن خلال دراستنا لابن أبى طى سنحاول أن نتحقق من النقد الذى كتبه ياقوت عنه، فبالنسبة لما ذكره عن أنه كان: «**يدعى العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية**»[١]، هذا الاتهام فى رأينا غير صحيح لأن ابن أبى طى تحدث كثيرا فى كتاباته عن أسرته وظهر أنها كانت **ذات مكانة دينية كبيرة** فى حلب، وعدت من أهم فقهاء الشيعة الإمامية فيها، فكان عم والده كما ذكرنا من قبل «أسد بن على الغسانى أبو الفضل 'الحلبي» قد درس الأصول على مذهب الإمامية، وألف بعض الكتب فى فضائل آل البيت[٢]. وكان عم ابن أبى طى «محاسن بن ظافر» من الفقهاء أيضا، وكذلك كان جده لأمه «فضائل بن صفيل»[٣]. أما **والد ابن أبى طى، فقد درس أيضا على فقهاء الشيعة الإمامية** فى حلب ومنهم: «يوسف المصري»[٤]، و«الحسن بن إبراهيم بن محمد ابن جعفر الحمصي»[٥]، **وكانت له مكانة كبيرة فى حلب**، وظهر هذه المكانة من خلال ما ذكره ابن أبى طى عن نزول الفقيه الكبير «محمد بن على بن شهراشوب المازندراني» عند والده وإقامته فى بيته فى حلب[٦].

ولهذه المكانة الكبيرة التى كانت تحتلها أسرة ابن أبى طى فى حلب كانت فى مقدمة من

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ٩٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ أحداث عام ٥١٦ هـ .

(٥) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٢٣٤ .

(٦) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

نفذ عليهم قرار نور الدين محمود فى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م بنفى زعماء الشيعة بها[١]، ومع ذلك ظلت مكانة والده كما هى، وازدادت مكانته مع الأيام، حتى أنه بعد وفاة نور الدين محمود وإلغاء قراراته بشأن الشيعة فى عام ٥٧٠ هـ، أم والده الشيعة وصلوا خلفه[٢].

ولهذا فمن غير المعقول أن يكون والد ابن أبى طى على هذه المكانة الدينية الكبيرة ويترك ولده الوحيد دون أن يلقنه العلوم الدينية، وقد بدأ والده ذلك منذ الساعات الأولى لمولده فقد حكى ابن أبى طى عن ذلك فقال: **قال أبى: «واستدعيتك إلى وأذنت فى أذنك اليمنى وأقمت فى اليسرى، وحنكتك بشئ من تربة الحسين بن على عليهما السلام فى ماء عذب»**[٣]، ولقى ابن أبى طى تعليمه بعد ذلك على كبار فقهاء الشيعة الإمامية، فذكر منهم: «خليل بن خمرتكين الحلبي»[٤]، «ورشيد الدين المازندراني»[٥]، و «الأشرف بن الأعز»[٦].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن ابن أبى طى كان قد لقى الكثير من العلوم الدينية وغيرها من العلوم، و فى اعتقادنا أنه لم يكن يدعى العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية مثلما ذكر ياقوت الحموى.

أما بالنسبة لما ذكره ياقوت عن أنه كان يقطع الطريق على تصانيف الناس[٧]، فهذا الرأى إن كان صحيحا فلماذا عندما قام ابن أبى طى بتهذيب كتاب «الإستيعاب فى معرفة

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ٩٧ .

(٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٠ .

(٣) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٧ .

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، ج ٧ ، ص ٣٣٧٧-٣٣٧٨ .

(٥) الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .

(٦) الصفدي : نكت الهميان ، ص ١٠٠ .

(٧) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

الأصحاب لابن عبد البر» سماه «تهذيب الاستيعاب لابن عبد البر»[١]، ولم يغير اسمه وينتحله لنفسه ؟

من خلال كل ما سبق نستطيع أن نقول أن ياقوت الحموى كان متحاملا على ابن أبى طى فى نقده له، ولعل ذلك كان كما ذكر الأستاذ «مصطفى جواد» : «من غمز ياقوت الحموى به وطعنه عليه فقد كانا متعاصرين ومختلفين فى المذهب. وجمعتهما حلب الشهباء، ولكن فضل ياقوت لا ينكر فى أنه ترجمه فى الأحياء المشهورين بالأدب على عادته فى معجمه»[٢].

ومن المؤرخين الذين انتقدوا بعض الروايات التى أوردها ابن أبى طى كان المؤرخ ابن حجر العسقلانى، وقد وجه نقده إليه من خلال التراجم التى أوردها عنه.

فعلى سبيل المثال قال عند ذكره رواية ابن أبى طى التى ترجم فيها «لهشام بن محمد بن السائب الكلبى أبو المنذر الإخبارى النسابة العلامة»: «ذكره ابن أبى طى فى الإمامية، وقص له قصة مع جعفر الصادق، رحمه الله تعالى، و«لا أظن صحتها»، و نقله عن «ابن معين» أنه وقفه، و«ليس كما قال»[٣].

وفى روايات أخرى انتقد ابن حجر أسلوب ابن أبى طى، ووصفه بأنه كان مبالغا فى إطرائه على بعض من ترجم لهم من الشيعة الإمامية. ومنهم: «ورام بن أبى فراس بن ورام أبو الحسين» فقال عنه ابن حجر: «ذكره ابن أبى طى فى الإمامية، وبالغ فى إطرائه»[٤]، كما

(١) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ؛ حاجي خليفة : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ الطباخ الحلبي : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ .

(٢) مجلة الكتاب ، مجلد ٦ ، ج ٨ ، ص ٤٧٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ .

قال عن «محمد بن على الكَرَاجكي»: «بالغ ابن أبى طى فى الثناء عليه»[١].

مآخذ الدراسة على ابن أبى طى:

كشفت الدراسة من خلال مقارنة نصوص روايات ابن أبى طى بغيره من المؤرخين أنه لم يكن دقيقا فى كتابة بعض التواريخ والأسماء والأحداث.

١- التواريخ:

من أبرز النصوص التى لم يتحرى ابن أبى طى الدقة فى ضبط تاريخ كثير من الأحداث بها، كتاباته عن **تاريخ الخلافة العباسية ودولة السلاجقة**، حتى أصبحت لكثرة تكرارها من السمات الرئيسة فى هذا الفصل، وكان التاريخ الذى يورده يسبق فى بعض الأحيان التاريخ الذى ذكره غيره من المؤرخين ـ السابقين أو المعاصرين له ـ بعام.

ومن أمثلة ذلك: حدد ابن أبى طى تاريخ زيارة «أتابك طغتكين» أمير دمشق للخلافة العباسية ـ للاجتماع مع السلطان «محمد بن ملكشاه» ـ فى أول يوم من عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ م[٢]، بينما ذكر كلا من: «ابن القلانسي» (ت ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م)؛ و «ابن الأثير» (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م) أن أتابك طغتكين وصل إلى بغداد قرب نهاية العام فى شهر ذى القعدة عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٦ م[٣].

كما كان ابن أبى طى أثناء ترجمته للخليفة العباسى المستظهر بالله، قد لاحظ وجود تقارب زمنى بين وفاة ثلاثة من الخلفاء العباسيين وثلاثة من سلاطين السلاجقة، وحدد الفارق الزمنى بين وفاة كل اثنين منهما، ولاحظنا أنه لم يكن دقيقا فى حساب الفارق بين وفاة السلطان السلجوقى «ملكشاه بن ألب أرسلان» (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٩٨.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٨٩.

(٣) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٧٣.

م) والخليفة العباسى المقتدى بأمر الله (٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ/ ١٠٧٥ ـ ١٠٩٤ م)، حيث ذكر أنه كان بين وفاتهما ستة أشهر[١]، والصحيح أن الفارق بين وفاتهما كان أكثر من عام حيث توفى السلطان ملكشاه توفى فى شوال عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م، وتوفى الخليفة المقتدى بأمر الله فى منتصف المحرم عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م[٢].

وهناك العديد من الأمثلة الأخرى فى فصل كتابات ابن أبى طى عن تاريخ الخلافة العباسية ودولة السلاجقة كشفتها الدراسة، وأوردنا التاريخ الصحيح لها.

أما بالنسبة **لبقية كتابات ابن أبى** طى فقد وردت بها أيضا بعض التواريخ التى لم يتحرى الدقة فيها. **ومن أمثلة ذلك:**

حدد ابن أبى طى مدة حصار الوزير الفاطمى شاور ومن معه من الصليبين لحملة أسد الدين شيركوه فى بلبيس فى عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٤ م **بثمانية أشهر**[٣]، بينما أوضح «ابن الأثير» وكثير من المؤرخين أن الحصار دام **ثلاثة أشهر** فقط[٤].

٢ـ الأسماء:

لاحظنا أيضا على ابن أبى طى أنه كان فى بعض الأحيان يجانبه الصواب فى ذكر أسماء الشخصيات التى تدور حولها الأحداث.

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢ .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٦٢ ، ٨٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص١٦٣ ، ١٧٠ .

(٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢١ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٨٥ . وانظر أيضا : ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٠ ؛ أبو الفداء : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤١ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٣٣٤ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٦٢ .

ومن أمثلة ذلك: كان ابن أبى طى قد أوضح فى ختام كتاباته عن حملة نور الدين محمود الأولى على مصر فى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م، أن أسد الدين شيركوه قائد الحملة كاد يتعرض أثناء عودته من مصر إلى الشام إلى مضايقات من قبل الصليبيين، وتحديدا من «البرنس أرناط» أمير «حصنى الكرك والشوبك»، ولكنه وصل سالما بعد ما قام بتغيير الطريق الذى كان سيسلكه إلى الشام[١].

وقد تبين لنا من خلال البحث عن أصل هذا الموضوع صحة ما ذكره ابن أبى طى بشأن التخطيط الصليبى للإيقاع بشيركوه أثناء عودته، حيث أورد «ابن الأثير» هذا الخبر[٢]، أما ما ذكره ابن أبى طى عن البرنس أرناط وإعداده لهذا المخطط، فلم يكن صحيحا، لأن «أرناط» كان أثناء تلك الأحداث مقبوضا عليه فى قلعة حلب، حيث كان وقع فى أسر الأمير «مجد الدين ابن الداية» ـ نائب نور الدين محمود فى حلب ـ فى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م، أى قبل هذه الأحداث بنحو أربع سنوات، وقد ظل أسيرا فى حلب حتى أفرج عنه فى عام ١١٧٦ م / ٥٧٢ هـ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن

أرناط قد تولى بعد حصنى الكرك والشوبك فى فترة خروج شيركوه من مصر، لأنه بعد الإفراج عنه فى عام ١١٧٦ م / ٥٧٢ هـ تزوج من وريثة بلاد الأردن والكرك والشوبك وصار إليه منذ ذلك الوقت الحكم فى تلك المناطق[٣].

٣- الأحداث:

هناك أيضا بعض الأحداث التى جانب فيها ابن أبى طى الصواب، ومن ذلك ما

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٨٥ . وانظر أيضا : ابن واصل : المصدر السابق ، ج ، ص ١٤١ .

(٣) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ، ج ٤ ، ص ١٩٦ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤ ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ ، ٦٥٤ ـ ٦٥٥ ، ٦٥٧ .

ذكره عند عرضه تفاصيل حصار عماد الدين زنكى دمشق فى عام ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م، فقد ذكر أن أمير دمشق جمال الدين بورى قد عرض عليه عرضا فى مقابل تركه الحصار، وتضمن هذا العرض أن يتنازل له ملك دمشق عن مدينة حمص[١]. ولقد لاحظنا أن ابن أبى طى لم يكن دقيقا فيما ذكره عن هذا العرض و يعتبر هذا خطأ كبيرا وقع فيه ابن أبى طى، لأن حمص كانت تابعة بالفعل لسيادة عماد الدين زنكى قبل عامين من هذه الأحداث فى عام ٥٣٢ هـ/ ٣٧-١١٣٨ م، بل كان عماد الدين زنكى قد عرض التنازل عنها فى أحد مراسلاته مع جمال الدين بن بورى[٢].

كذلك يؤخذ على ابن أبى طى اهتمامه بذكر الكثير من الرؤى والأخذ بدلالتها فى التفسير[٣] وكان بعض هذه الرؤى ينبئ بالمستقبل: من ذلك الرؤى التى رآها والد ابن أبى طى قبل أن يرزق به وبُشر بها بقرب مولده[٤]، والرؤية التى رآها الوزير الفاطمى شاور قبل مقتله فى عام ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩ م وكانت تنبئ بنهاية الخلافة الفاطمية على يديه[٥]؛ أما البعض الآخر فقد ذكره ابن أبى طى لتفسير بعض المواقف. من ذلك تفسيره قرار الملك العادل نور الدين محمود بالعدول عن إيذاء بعض فقهاء وعامة الشيعة فى حلب فى عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م، أنه رأى الإمام على فى أكثر من رؤية هالته[٦].

---

(١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٨٧ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤١٨ ، ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(٣) د . محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٤) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٦ .

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٣٠ (مطبوع) .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ورقة ٩٨ (مخطوط) .